http://www.shamela.ws
تم إعداد هذا الملف آليا بواسطة المكتبة الشاملة

الكتاب: مجالس رمضان - أحمد فريد
المؤلف: أحمد فريد
مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية
http://www.islamweb.net
[الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - 16 درسا]

مجالس رمضان_التزكية عند أهل السنة

لقد اعتنى الشرع المطهر بتزكية الأنفس وتطهيرها من أدرانها، وجعل فلاح العبد وفوزه منوطاً بتزكية النفس، وما ذلك إلا لما للتزكية من المكانة العظيمة عند الله عز وجل، فعلى المؤمن أن يبذل وسعه في تزكية نفسه وتطهيرها.

أهمية تزكية النفوس وبيان مناهجها

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

ثم أما بعد: فإن من المهمات التي بعث بها النبي الكريم صلى الله عليه وسلم تزكية نفوس العباد، كما قال عز وجل: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} [الجمعة:2]، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسأل الله عز وجل هذه الزكاة لنفسه فيقول: (اللهم آت نفسي تقواها، زكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها).

كما تمنن الله عز وجل على المؤمنين بهذه الزكاة فقال عز وجل: {وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ} [النور:21]، فالله عز وجل يتفضل على من يشاء بالتزكية.

وقد أقسم الله عز وجل في كتابه أحد عشر قسماً متوالياً -وليس في القرآن كله أقسام متوالية بهذا العدد وعلى هذا النسق- على حقيقة: وهي أن فلاح العباد ونجاحهم منوط بتزكية نفوسهم، وأن خيبتهم وخسارتهم منوطة بتدسية نفوسهم، فقال عز وجل: {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا * وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا * وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا * وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} [الشمس:1 - 10].

فهذه الأقسام المتوالية على أن فلاح العباد منوط بتزكية نفوسهم.

فقوله تعالى: (قد أفلح من زكاها) * (وقد خاب من دساها) فما معنى التزكية وما معنى التدسية؟ التزكية: هي التنمية والإصلاح.

يقولون: زكا الزرع إذا نما وصلح وبلغ كماله.

فتزكية النفس: هي تنميتها وتعليتها وتنقيتها وإصلاحها بتوحيد الله عز وجل وطاعته؛ لأن النفس تزكو بذلك وتعظم وتطهر.

أما التدسية: فهي التحقير والتصغير، فالنفس تصير حقيرة دنيئة لا تكاد ترى من حقارتها ودناءتها، كما قال عز وجل: {أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ} [النحل:59]؛ أي: يخفيه في التراب.

فالنفس تنمو وتصلح بطاعة الله عز وجل، وتصغر وتصير حقيرة دنيئة بمعصية الله عز وجل! فالعباد يجهلون مواقع السعادة ولا يعلمون أن سعادتهم في صلاح نفوسهم وتزكيتها، والله عز وجل قال: {وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} [الأحزاب:72].

والجاهل لا يدري مصلحته، فينبغي أن يجبر على ما فيه صلاحه.

قال عبد الله بن المبارك رحمه الله: إن الصالحين فيما مضى كانت أنفسهم تواتيهم على الخير عفواً، وإن أنفسنا لا تكاد تواتينا، فينبغي علينا أن نكرهها.
فالنفوس الجاهلة لا تعلم أن مصلحتها وسعادتها في طاعة الله عز وجل، وفي الاستجابة لأمر الله عز وجل وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم، ولكن إذا أجبر العبد نفسه على الطاعة وعلى العبادة وعلى الاستقامة على طريق الله عز وجل، فعند ذلك تذوق النفس حلاوة الطاعة والعبادة، وبعد ذلك تساعد النفس صاحبها وتأتي معه على طاعة الله عز وجل.
وقال بعض السلف: عالجت قيام الليل سنة وتمتعت به عشرين سنة.
أي: ثقل على نفسه قيام الليل وعالج قيام الليل.
ومنهم من يفتح عليه في الدعوة إلى الله عز وجل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم الناس الخير.
ومنهم من يفتح له في قضاء حوائج الناس، وتحقيق مآربهم.
ومنهم من يفتح له في الجهاد والبذل لإعلاء دين الله عز وجل ورفع رايته.
وهناك من يوفق لكل هذه الأبواب، فإذا نظرت في الحجاج وجدته وسطهم، وإذا نظرت في المجاهدين وجدته بينهم، وإذا نظرت في العلماء وجدته في صفهم، فلو قيل له: ماذا تريد يقول: طاعة ربي جمعتني أو فرقتني، فهو السابق بالخير والمسارع إلى كل سبيل يرضي ربه عز وجل.
فهذه مناهج التزكية عند أهل السنة والجماعة: التزكية بالتوحيد، التزكية بأداء الفرائض، التزكية بالإكثار من النوافل.

الغاية من تزكية النفس عند أهل السنة
أما غاية التزكية عند أهل السنة: فهي تحقيق كمال العبودية لله عز وجل، والوصول إلى أعلى مراتب الذل

والحب لله عز وجل؛ لأن العبودية هي كمال الحب مع تمام الذل، والله عز وجل وصف أكابر الخلق بالعبودية، فوصف نبيه صلى الله عليه وسلم بالعبودية في أشرف مقاماته، مقام الإسراء، ومقام التحدي، ومقام الدعوة إلى الله عز وجل، فقال: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى} [الإسراء:1].
وقال: {وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا} [الجن:19].
وقال: {وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ} [البقرة:23]، ولذلك لما ذكر الإمام الطحاوي رحمه الله تشريفات النبي صلى الله عليه وسلم ابتدأ بالتشريف الأول وهو العبودية، قال: وإن محمداً عبده المصطفى، ونبيه المجتبى، ورسوله المرتضى، وإنه خاتم الأنبياء، وإمام الأتقياء، وسيد المرسلين، وحبيب رب العالمين، وكل دعوى النبوة بعده فغي وهوى، وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى بالحق والهدى، وبالنور والضياء، فقبل أن يذكر بأنه إمام الأنبياء وسيد المرسلين ذكر أنه عبد الله عز وجل المصطفى.
فالعبودية لله عز وجل تشريف وتكريم، كما قال عياض:
ومما زادني شرفاً وتيهاً وكدت بأخمصي أطأ الثريا دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صيرت أحمد لي نبيا فالذي يتكبر عن العبودية لله عز وجل لا بد أن يقع في عبودية غير الله عز وجل من المخلوقات الخسيسة، فيعبد الشجر أو الحجر أو الشمس أو القمر أو البقر، بل من الناس من وقع في عبادة الشيطان الرجيم.
فكل من يتكبر عن العبودية لله عز وجل لا بد أن يقع في العبودية لغير الله، ومهما تحرر العبد من العبادة لغير الله تكمل عبوديته لله عز وجل، ولذلك فإن وظيفة الرسل وأتباع الرسل تعبيد الناس لله عز وجل، وتحرير الناس من العبادة الباطلة للآلهة الباطلة التي لا تستحق العبادة، وجعلهم عبيداً حقيقيين لله عز وجل، كما قال ربعي بن عامر: إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى

عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديـان إلى عدل الإسلام.
فوظيفة الرسل وأتباع الرسل أن يحرروا الناس من عبادة غير الله ويعبدوهم لله عز وجل، ويشرفوهم بأن يجعلـوهم عبيداً حقيقيين لله عز وجل.
نسأل الله تعالى أن يشرفنا بالعبوديـة لـه عـز وجـل، وأن يرفعنا بالقيام والصيام.
أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.
وصلى الله وسـلم وبـارك على محمـد وعلى آلـه وصـحبه وسلم تسليماً.
(1/3)

_____
مجالس رمضان_الصيام مدرسة التقوى
الصيام عبـادة تفضـل اللـه بهـا على عبـاده؛ لمـا فيهـا من المنافع والفوائـد، فالصـائم يغفـر اللـه لـه ذنوبـه بصـومه، ويكون صومه شافعاً له يوم القيامة، كما أن الصـوم يعـود الصــائم على الصــبر والجلــد ومراقبــة اللــه عــز وجــل، والإحسان في القول والعمل.
(2/1)

_____
آثار الصيام في زياد تقوى الصائم
إن الحمد لله، نحمـده ونسـتعينه ونسـتغفره، ونعـوذ باللـه من شرر أنفسنا، ومن سيئات أعمالنـا، من يهـده اللـه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.
{يَـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُـوا اتَّقُـوا اللَّهَ حَـقَّ تُقَاتِـهِ وَلا تَمُـوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران:102].
{يَا أَيُّهَـا النَّاسُ اتَّقُـوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِـدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَـا وَبَثَّ مِنْهُمَـا رِجَـالًا كَثِـيرًا وَنِسَـاءً وَاتَّقُـوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء:1].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب:70 - 71].
أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.
وما قل وكفى خير مما كثر وألهى: {إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ} [الأنعام:134].
الصيام عباد الله! مدرسة التقوى، قال الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة:183].
والترجي في كلام الله عز وجل أو كلام رسوله صلى الله عليه وسلم على القطع، كما قال ابن عباس: عسى من الله واجب.
على عادة الملوك إذا أرادوا أن يقولوا: نحن سنفتح هذا البلد، يقولون: نرجو أن نفتح هذا البلد، ونرجو أن ننتصر على هذا الجيش، فلما يقطعون به يأتون به على صيغة الترجي، كما قال الله عز وجل: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الأعراف:204]، فأنتم ترحمون قطعاً إذا استمعتم إلى كلام الله عز وجل، كذلك من صام حق الصيام كما أمر الله عز وجل لا بد أن يصل إلى درجة التقوى.
والتقوى هي: علم القلب بقرب الرب.
والتقوى هي: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإن الله عز وجل يراك.
والتقوى كذلك عباد الله: ألا يراك الله حيث نهاك، ولا يفتقدك حيث أمرك.
فالصيام يوصل إلى تقوى الله عز وجل؛ لأنه يتكون من نية باطنة لا يطلع عليها أحد إلا الله عز وجل، وترك لشهوات يستخفى بتناولها عادة، فلا نستطيع أن نجزم في شخص بأنه صائم؛ لأنه قد يخلو ولو للحظات فينتهك حرمة الصيام، فهو إنما يترك الطعام والشراب والشهوة

لأنه يحس بأن الله عز وجل يراه، وبأن الله عز وجل مطلع على قلبه، وعلى سر أمره وعلانيته، فالصيام يدرب العبد على مراقبة الله عز وجل، وهذه المراقبة هي التقوى المقصودة، والدرة المفقودة: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة:183].

وقد شرف الله عز وجل هذه العبادة بإضافتها إلى نفسه الشريفة عز وجل فقال تعالى في الحديث القدسي: (كل عمل ابن آدم له، الحسنة بعشر أمثالها، إلا الصيام فإنه لي، وأنا أجزي به).

فأضاف الله عز وجل كل أعمال ابن آدم إلى نفس ابن آدم، وشرف عبادة الصيام بأن أضافها إلى نفسه الشريفة فقال: (إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به).

فلما كان الصيام سراً بين العبد وربه تكفل الله عز وجل بتحديد أجر الصيام، فليس له تسعيرة محددة: (فكل عمل ابن آدم له، الحسنة بعشرة أمثالها).

فكل عمل من الأعمال له ثواب محدد، أما الصيام فالله تعالى يتكفل بتحديد أجره.

والصيام من الصبر وقد قال الله عز وجل: {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر:10].

فالصيام عبادة ترقى بالعبد إلى درجة المراقبة وإلى درجة التقوى، كما أن الصائم يلتزم بأخلاق معينة هي أخلاق المتقين وأخلاق المحسنين، فلا يسفه على السفيه بمثل سفهه، ولا يجهل على الجاهل بمثل جهله.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: (فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث).

ولا يتكلم كلاماً فاحشاً: (ولا يصخب) أي: لا يرفع صوته بغير حاجة أو ضرورة: (وإن سابه أحد أو قاتله، فليقل: إني صائم، إني صائم).

أي: يدفعه على أن يواجه السيئة بالسيئة أنه صائم، فينبغي عليه أن يلتزم بأخلاق الصائمين، وأخلاق المحسنين، فيدفع بالحسنة السيئة، فيقول: (إني صائم إني صائم).

ما ينتظره الصائم يوم القيامة من الأجر
فالصيام عباد الله! قد يكون صياماً عن الطعام والشراب والشهوات، فمن كان صيامه عن الطعام، والشراب والشهوة، فله في الجنة ما شاء الله من طعام وشراب وحور عين، كما قال عز وجل: {كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ} [الحاقة:24].
قال مجاهد وغيره: نزلت في الصائمين.
ومن الناس من يصوم عما سوى الله عز وجل، فيحفظ الرأس وما وعى، ويحفظ البطن وما حوى، ويذكر الموت والبلى.
ومن صام في الدنيا عن شهواته، أدركها غداً بعد وفاته، ومن تعجل ما حرم عليه من لذاته، عوقب بحرمانه في الآخرة وفواته، أنت في دار شتات فتأهب لشتاتك، واجعل الدنيا كيوم صمته عن شهواتك، واجعل الفطر عند الله يوم وفاتك.
أهل الصيام! أهل الخصوص من الصوام صومهم صون اللسان عن البهتان والكذب والعارفون وأهل الأنس صومهم صون القلوب عن الأغيار والحجب.
فينبغي للمسلم عباد الله! إذا نوى الصيام أن ينوي ترك كل الذنوب والمعاصي، وأن يصوم سمعه وبصره وجوارحه، كما قال جابر: إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك، ودع أذى الجار، وليكن عليك سكينة ووقار، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء.
ولما كان الصيام سراً بين العبد وبين ربه يشتهر أهل الصيام يوم القيامة برائحة أفواههم، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك).
فكل عبادة ينشأ عنها أثر مكروه عند العباد تكون محبوبة عند الله عز وجل، فخلوف فم الصائم -أي: الرائحة التي تنبعث من المعدة الخالية من الطعام- أطيب عند الله من ريح المسك.

والشهيد يأتي يوم القيامة وجرحه ينزف دماً، اللون لون الدم، والريح ريح المسك.
وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (الصيام جنة) أي: وقاية، فهو وقاية لصاحبه من النار؛ لأن النار حفت بالشهوات، والصيام يكسر الشهوات المحرمة، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (يا معشر الشباب! من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء).
فالصيام يكسر الشهوات، ويطوع النفس لرب الأرض والسموات؛ ولذلك ورد في فضل الصيام قوله صلى الله عليه وسلم: (الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي ربي! منعته الطعام والشراب والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه.
فيشفعان).
وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن في الجنة باب يقال له: الريان، لا يدخل منه إلا الصائمون).
ولم يقل: للجنة ولكن قال: في الجنة، إشارة إلى أن في هذا الباب من الراحة ومن النعيم ومن البهجة والسرور مما في الجنة، فقال: (إن في الجنة باباً يقال له: الريان، لا يدخل منه إلا الصائمون).
قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من صام يوماً في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار خندقاً كما بين السماء والأرض).
وهذا المقصود به: صيام النافلة، فإذا كان يوم صيام في النافلة يباعد الله عز وجل بهذا اليوم بين العبد وبين النار سبعين خريفاً، فكيف بصوم الفريضة الذي هو أفضل وأقرب إلى الله عز وجل.
وسأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم كما روى النسائي عن أبي أمامة عن عمل يتقرب به إلى الله عز وجل فقال: (عليك بالصيام، فإنه لا عدل له أو لا مثل له)، فدله على الصيام.

فالصيام عباد الله! من أحب العبادات إلى الله عـز وجـل؛ لأن اللــه عــز وجــل يحب من العبــاد أن يعــاملوه ســراً، فالصيام سر بين العبد وبين ربه لا يطلع عليه أحـد إلا اللـه عـز وجـل؛ ولـذلك كـان من أحب العبـادات إلى اللـه عـز وجل، فينبغي علينا أن نصـون الصـيام، فمن صـان صـيامه وجد أجر صيامه عند الله عز وجل.
فنسأل الله تعـالى أن يتقبـل منـا الصـيام والقيـام، وتلاوة القــرآن، وأن ينفعنــا بأعمالنــا الصــالحة، وأن يتجــاوز عن الزلات والسيئات.
أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.
وصلى الله وسـلم وبـارك على محمـد وعلى آلـه وصـحبه وسلم.
سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، أسـتغفرك وأتوب إليك.
(2/3)

مجالس رمضان_العبودية وظيفة العمر
خلق الله البشـر لعبادتـه سـبحانه، وأمـرهم بالقيـام بهـذه الوظيفــة، فلا تكــون العبوديــة إلا للــه وحــده، وقــد فهم الصـحابة ومن سـار على هـديهم حقيقـة هـذه الوظيفـة، فذاقوا السـعادة ووجـدوا الطمأنينـة والراحـة ونعيم الـدنيا والآخرة.
(3/1)

فهم وظيفة العبودية والقيام بها
الحمد لله نحمـده ونسـتعينه ونسـتغفره، ونعـوذ باللـه من شــرور أنفســنا، ومن ســيئات أعمالنــا، من يهـده اللــه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.
أما بعد: فإن الله لم يخلق خلقه عبثاً، ولم يـتركهم سـدى، بل خلقهم لأمـر عظيم وخطب جسـيم، عـرض هـذا الأمـر على السماوات والأرض والجبال فأبين وأشفقن منه وجلاً،

وقلن: ربنا إن أمرتنا فسمعاً وطاعة، وإن خيرتنا فعافيتك نريد لا نبغي بها بدلاً، وحمله الإنسان على ضعفه وعجزه عن حمله، وباء به بظلمه وجهله، فألقى أكثر الناس الحمل عن ظهورهم لشدة مئونته عليهم وثقله، وصحبوا الدنيا صحبة الأنعام السائمة، لا يتفكرون في معرفة موجدهم وحقه عليهم، ولا يتفكرون في سرعة رحيلهم من هذه الدنيا الفانية، وانتقالهم إلى الآخرة الباقية، فقد ملكهم باعث الحس، وغاب عنهم داعي العقل، وشملتهم الغفلة، وغرتهم الأماني الباطلة، والخدع الكاذبة، فخدعهم طول الأمل، وران على قلوبهم سوء العمل، فهم في شهوات الدنيا ولذات النفوس كيف حصلت حصلوها، ومن أي وجه لاحت أخذوها، إذا بدا لهم حظ من الدنيا بآخرتهم طاروا إليه زرافات ووحداناً، ولم يؤثروا عليه فضلاً من الله ولا رضواناً، نسوا الله فنسيهم أولئك هم الفاسقون، يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون.

خلقنا الله عز وجل لوظيفة، فمن اهتدى لمعرفة هذه الوظيفة وقام بها حق القيام أفلح وأنجح، وسعد في الدنيا والآخرة، ومن تغابى عن معرفة هذه الوظيفة أو عرف الوظيفة ولم يقم بها حق القيام خاب وخسر في الدنيا والآخرة، فما هي هذه الوظيفة التي خلقنا الله عز وجل من أجلها، حتى لا نكون يوم القيام من المغبونين، أو من الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً؟ فالله عز وجل بين لنا هذه الوظيفة في كتابه، فقال عز وجل: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات:56]، فالله تعالى خلق العباد من أجل عبادته عز وجل وحده، وأرسل الرسل من أجل أن يعبِّدوا الناس له عز وجل، ومن أجل أن ينبهوا الناس إلى القيام بالوظيفة التي خلقهم الله عز وجل من أجلها، فقال عز وجل: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء:25].

وقال عز وجل: {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ} [الزخرف:45]،

فالله تعالى أرسل الرسل من أجل أن يعبِّدوا الناس له عز وجل، ومن أجل أن يعرف الناس الوظيفة التي خلقهم الله عز وجل من أجلها.
وقد فهم ربعي بن عامر رضي الله عنه أحد تلامذة النبي صلى الله عليه وسلم هذه الوظيفة، فلما دخل على رستم قال: إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.
(3/2)

وجوب إخلاص العبودية لله وحده
إن وظيفة الرسل، ووظيفة أتباع الرسل وهي تعبيد الناس لله عز وجل، فنحن جميعاً عبيد لله عز وجل، والعبد لا يجوز له أن يعمل ويؤدي إلى غير سيده، بل يجب عليه أن يعمل ويؤدي إلى سيده، فلا يجوز لنا أن نعمل عملاً لا نرجو به وجه الله، فينبغي أن تكون كل الأقوال وكل الأعمال وكل الأحوال لله عز وجل، كما قال تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} [الأنعام:162 - 163]، فنحن وأموالنا وأوقاتنا وزوجاتنا وأولادنا ملك لله عز وجل، فلا يجوز لنا أن نعمل عملاً لغير الله، بل ينبغي أن يكون لله عز وجل.
كثير من الناس يظن أن العبد لو كان كل عمله لله عز وجل فإنه لا يجد سعادة وراحة وحياة طيبة، وهذا من جهلهم بدين الله عز وجل، ومن جهلهم بما تسعد به النفوس، فهم يظنون أنهم لا يمكن أن يسعدوا حتى ينسلخوا من الشرع المتين، وحتى يتبعوا الشياطين، لكن القلوب التي خلقها الله عز وجل بين تعالى أنها لا تسعد إلا به، ولا تطمئن إلا بذكره، كما قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} [الرعد:28]، فالله عز وجل كما خلق العين للإبصار والأذن للسماع واللسان للتحدث والذوق، خلق القلب لمعرفة الله عز وجل وتوحيده، فمهما تعلق بغير الله

فمآله إلى التعاسة والشـقاء، كمـا قـال النـبي صـلى اللـه عليه وسلم: (تعس عبد الدينار، تعس عبـد الـدرهم، تعس عبـد الخميصـة، تعس عبـد القطيفـة، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش)، فالقلب لا يسعد إلا بالله عز وجل، ففي القلب فقر وحاجة واضطرار إلى الله عز وجل، فإذا تعلـق بالله، وعُبِّد له سعد بذلك في الدنيا والآخرة، وإذا عُبِّد لغير الله فالتعاسة والشقاء في الدنيا والآخرة.
(3/3)

_____

سعادة الصالحين وأخبارهم في عبوديتهم لله
مهما أكمل العبـد عبوديتـه للـه عـز وجـل سـعد في الـدنيا والآخرة، ومهما نقصـت عبوديتـه نقصـت سـعادته، ولـذلك يخبرنا الصالحون كيف وجدوا السعادة التي ما ذقنـا شـيئاً منها لضعف إيماننا ويقيننا وقلة توحيدنا، فقال بعضهم: لـو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من نعمة لجالـدونا عليها بالسيوف.
وقال بعضهم: أهل الليل في ليلهم ألذ من أهـل اللهـو في لهوهم، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا.
وقال بعضهم: ما بقي من لذات الدنيا إلا ثلاث: قيام الليل، ولقاء الإخوان، وصلاة الجماعة.
وقال بعضـهم: إنـه لتمـر بي أوقـات أقـول: إن كـان أهـل الجنة كالذي نحن فيه والله إنهم لفي عيش طيب.
وقـال بعضـهم: واللـه! إنـه لتمـر بي أوقـات يـرقص فيهـا القلب طرباً.
وهذا شيخ الإسلام ابن تيميـة رحمـه اللـه كـان يقـول: مـا يفعل بي أعدائي، أنا جنتي معي، وبستاني في صدري، إن سجني خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلـدي سـياحة، وتعذيبي جهاد في سبيل الله.
ولمـا سـجن في القلعـة نظـر من خلـف البـاب وقـال: {فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيـهِ الرَّحْمَـةُ وَظَـاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ} [الحديد:13].
وكان يقول: لو أملـك ملء القلعـة ذهبـاً مـا اسـتطعت أن أكافئهم على ما قدموه لي من الخير.

وكان يقول: المحبوس من حبس قلبه عن ربه، والمأسور من أسره هواه.
وكان يكثر أن يقول في سجوده وهو مسجون: اللهم! أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.
يصفه تلميذه المحقق ابن القيم فيقول: كنا إذا ضاقت بنا الأمور، واشتدت بنا الأحوال نلقاه، فما أن نراه وننظر إليه إلا ذهب كل ذلك عنا، وانقلب انشراحاً وفرحاً، ولقد كان من أطيب الناس عيشاً مع ما كان فيه من شدة العيش وخلاف الرفاهية، كانت نضرة النعيم تلوح على وجهه.
فالحمد لله الذي فتح لعباده باباً إلى جنته، فأتاهم من ريحها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها، وهم ما يزالون في دار العمل، فـ شيخ الإسلام تجاوز الستين سنة وما وجد حياة الاستقرار حتى يتزوج؛ لأنه كان من سجن إلى سجن، ومن معركة إلى معركة، ومن مناظرة إلى مناظرة، وما سعى يوماً لأن يتزوج زوجة حسناء، أو يملك سرية حوراء، ولا داراً قوراء، ولا سعى خلف دينار ولا درهم.
فالذي يحقق العبودية لله عز وجل، وتكتمل عبوديته له تكتمل سعادته في الدنيا والآخرة، بل يسعد به من رآه.
وكان أيوب السختياني سيد شباب أهل البصرة من التابعين، كان إذا دخل السوق ورآه أهل السوق سبحوا وهللوا وكبروا، لما يرون على وجهه من أنوار العبادة، فمن أقبل على الله عز وجل أقبل الله عز وجل عليه، ومن أقبل الله عز وجل عليه أضاءت ساحاته واستنارت جوارحه.
والعجب كل العجب من غفلة من لحظاته معدودة عليه، وكل نفس من أنفاسه إذا ذهب لم يرجع إليه، فمطايا الليل والنهار تسير به ولا يتفكر إلى أين يحمل، ويسار به أعظم من سير البريد، ولا يدري إلى أي الدارين ينقل، حتى إذا نزل به الموت اشتد قلقه لخراب ذاته وذهاب لذاته، لا لما سبق من تفريطه حيث لم يقدم لحياته، فإذا خطرت له خطرة عارضة لما خلق له، دفعها باعتماده

على العفو، وقال: قد أنبئنا بأنه هو الغفور الـرحيم، وكأنـه لم ينبأ بأن عذابه هو العذاب الأليم.
ولمـا علم الموفقـون لمـا خلقـوا لـه, ومـا أريـد بإيجـادهم رفعوا رءوسهم، فإذا علم الجنة قد رفع لهم فشمروا إليه، وإذا صـراطها المسـتقيم قـد وضـح لهم فاسـتقاموا عليـه، ورأوا من بعض الغبن بيع ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، في أبد لا يزول ولا ينفـد بصـبابة عيش، إنما هو كأضـغاث أحلام أو كطيـف زار في المنـام، مشوب بالنغص، ممـزوج بالغصـص، إن أضـحك قليلاً أبكى كثيراً، وإن سر يوماً أحزن شهوراً.
آلامه تزيد على لذاته، وأحزانه أضعاف مسراته، فيا عجبـاً من سفيه في صورة حليم، ومعتوه في مسلاخ عاقل، آثـر الحظ الفاني على الحظ الباقي النفيس، وباع جنة عرضها الأرض والسـماوات بسـجن ضـيق بين أربـاب العاهـات والبليات، ومساكن طيبة في جنات عدن تجـري من تحتهـا الأنهار بأعطان ضيقة آخرها الخراب والبوار، وأبكاراً عربـاً أتراباً كأنهن اليـاقوت والمرجـان بخبيثـات قـذرات سـيئات الأخلاق مسافحات أو متخذات أخـدان، وحـوراً مقصـورات في الخيام بخبيثات سيبات بين الأنام، وأنهاراً من خمر لذة للشـاربين بشـراب نجس مـذهب للعقـل، مفسـد للـدنيا والدين، ولذة النظر إلى وجه العزيز الرحيم، بالتمتع برؤية الوجه القبيح الذميم، وسماع الخطاب من الرحمن بسماع المعازف والغنـاء والألحـان، والجلـوس على منـابر اللؤلـؤ واليـاقوت والزبرجـد يـوم المزيـد بـالجلوس في مجـالس الفسوق مع كل جبار عنيد.
وإنمـا يظهـر الغبن الفـاحش في هـذا الـبيع يـوم القيامـة، وإنما يتبين سفه بائعـه يـوم الحسـرة والندامـة، إذا حشـر المتقون إلى الـرحمن وفـداً وسـيق المجرمـون إلى جهنم وِرداً، ونـادى المنـادي على رءوس الأشـهاد ليعلمن أهـل الموقـف من أولى بـالكرم من بين العبـاد، فلـو تـوهم المتخلف عن هذه الرفقـة مـا أعـد اللـه لهم من الإكـرام، وادخر لهم من الفضل والإنعام، لعل

مجالس رمضان_دعاء تفريج الهم

إن سعادة القلوب لا تكون إلا بتوحيد الله عز وجل، والتسليم بقضاء الله وقدره، فإذا أصاب عبداً هم أو غم أو حزن لجأ إلى الله عز وجل داعياً متوسلاً بأسمائه، عاكفاً على قراءة القرآن، فكما أن القرآن ربيع القلوب، كذلك هو جلاء الأحزان وذهاب الغموم والهموم.

(4/1)

كيفية علاج القلب من الهم والغم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

أما بعد: فقوله صلى الله عليه وسلم: (ما أصاب عبداً قط هم ولا غم ولا حزن فقال: اللهم! إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض فيَّ حكمك، عدل فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، وجلاء أحزاننا، وذهاب همومنا وغمومنا، إلا أذهب الله همه وغمه وأبدله مكانه فرحاً).

هذا الحديث النبوي الشريف يبين لنا كيف تعالج القلوب من الهم أو الغم أو الحزن، فالقلوب خلقت لمعرفة علام الغيوب وغفار الذنوب عز وجل؛ فهي لا تسعد إلا بتوحيد الله عز وجل؛ لأنها خلقت لمعرفة الله وتوحيده، وكما أن السماوات والأرض لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا، فكذلك قلوب العباد لو كان فيها آلهة إلا الله عز وجل لفسدت بذلك فساداً لا يرجى له صلاح، حتى توحد ربها وتعرفه عز وجل.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: (تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد القطيفة، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش).
فالقلوب إذا علقت بغير الله عز وجل، وعبدت غيره شقي أصحابها في الدنيا والآخرة.
والقلوب لا تصل إلى مناها حتى تصل إلى مولاها، ولا تصل إلى مولاها حتى تكون صحيحة سليمة، فهي لا تسعد إلا بالله عز وجل، ولا تطمئن إلا بذكره وعبادته، كما قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} [الرعد:28].
فلما خلقت لتوحيد الله عز وجل صار علاجها كذلك إذا أصابها شيء من الهم أو الغم أو الحزن.
والهم: ما يصيب القلب عند انتظار مكروه في المستقبل.
والغم: ما يصيب القلب عند المصيبة الحاضرة.
والحزن: هو الأثر الباقي في القلب نتيجة لمصيبة ماضية.
فإذا أصيبت القلوب بشيء من الهم أو الغم أو الحزن فعلاجها مركب من أمرين: الأمر الأول: هو توحيد الله عز وجل.
والأمر الثاني: هو التسليم بقضاء الله عز وجل وقدره، والتسليم لشرع الله عز وجل، فيقول صلى الله عليه وسلم: (ما أصاب عبداً قط هم ولا غم ولا حزن، فقال: اللهم! إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك)، فعلاج القلوب في التوحيد، وأن يقف العبد ذليلاً عند باب ربه العزيز، ويقول بأنه عبد وليس عبداً ابن سيد، ولكن العبودية متأصلة فيه، فهو عبد وابن عبد وابن أمة: (اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك).
قوله: (ناصيتي بيدك) إقرار لله عز وجل بالربوبية، فالله عز وجل قهر جميع الخلق وأذل جميع الخلق: {مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [هود:56]، فالله تعالى يملك نواصي العباد وقاهر لكل العباد، ومذل لكل العباد كما يملك قلوب العباد، ولو شاء الله عز وجل لأعطى كل نفس تقواها.
قوله: (ماض فيَّ حكمك) تسليم للشرع المتين.

قوله: (عدل فيَّ قضاؤك)، تسليم للقضاء والقدر.
(4/2)

_____

أسماء الله الحسنى ومشروعية التوسل بها

قوله: (أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك) توسل مشروع بأسماء الله عز وجل، والأسماء الحسنى الله عز وجل هو الذي سمى بها نفسه لكماله سبحانه، وقد عاب الله تعالى الآلهة الباطلة؛ لأنها احتاجت إلى من يسميها، فقال: {إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ} [النجم:23]، فاحتياج المخلوق إلى من يسميه نوع من الفقر، والله عز وجل هو الغني ومن سوى الله عز وجل فقير إليه، فالله تعالى هو الذي سمى نفسه بهذه الأسماء الحسنى واختارها لنفسه.

قوله: (أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك)، أو: تفصيل بعد إجمال، فالله عز وجل سمى نفسه بكل الأسماء الحسنى، فأنزل بعضها في بعض كتبه، وعلم بعضها بعض خلقه، واستأثر الله عز وجل بعلم بعضها، وهذا موافق لما يجب اعتقاده من أن الله عز وجل لا يحاط به علماً.

فنحن لا نعلم كل أسماء الله الحسنى؛ وذلك لعظمته وكماله وجلاله، كما أن الله عز وجل يُرى في الآخرة ولا يُدرك، كما قال تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة:22 -ـ 23]، ولكن الإدراك فوق الرؤية كما قال الله عز وجل حاكياً عن موسى وقومه: {قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ} [الشعراء:61 -ـ 62]، فلما حصلت الرؤية وتراءى الجمعان {قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ} [الشعراء:61 ـ 62]؛ لأن الله عز وجل وعده بأن يجعل له هو وهارون سلطاناً فلا يصلون إليهما، فهو يثق بوعد الله ويثق بنصره عز وجل، فقال: {كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ} [الشعراء:62].

ولما سئل الحبر البحر ابن عباس عن قول الله عز وجل: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة:22 - 23]، وقوله تعالى: {لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ} [الأنعام:103]، فقال للسائل: سوف أضرب لك مثلاً من خلقه، قال: أترى السماء؟ قال: نعم، قال: أفتدركها، قال: لا، قال: الله أعظم وأجل.
فالسماء خلق من خلق الله عز وجل، ننظر إليها فنرى شيئاً من الكواكب غير الشمس والقمر، ولكن الإنسان ينظر إلى السماء ولا يحيط بها علماً فيعلم كل ما في السماء من أجرام وكواكب وشموس وأقمار وغير ذلك، فإذا كان خلق من خلق الله لا نستطيع أن ندركه، فكيف بالخالق الذي هو أكبر من كل شيء، وأعظم من كل شيء، وعلا فوق كل شيء سبحانه وتعالى.
فالله عز وجل له أسماء غير هذه الأسماء التي أشار إليها في الحديث الثابت في الصحيحين: (إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة) فالله عز وجل له أسماء غير التسعة والتسعين، وهذا كما قال شيخ الإسلام شبيه بقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن في الجنة مائة درجها أعدها الله للمجاهدين في سبيله، ما بين الدرجة والدرجة كما بين السماء والأرض)، فمن بين درجات الجنة التي لا نعلم عددها مائة درجة أعدها الله عز وجل للمجاهدين في سبيله، ما بين الدرجة والدرجة كما بين السماء والأرض.
كذلك من جملة الأسماء التي لا يعلم عددها ووصفها إلا الله عز وجل تسعة وتسعين اسماً موجودة في الكتاب والسنة الصحيحة، من أحصاها قيل: حفظها، وقيل: أثنى على الله عز وجل بها، وقيل: عمل بمقتضاها، فإذا قال: الرزاق وثق بالرزق، وإذا قال: التواب وثق بالتوبة وهكذا.
(4/3)

بيان تأثير القرآن في القلوب
قوله: (أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا) الربيع: هو المطر، وحال القرآن مع القلوب كحال المطر مع الأرض،

فالقرآن واحد ولكن القلوب تختلف، كما أن المطـر يـنزل واحداً ولكن الأرض تختلف، فهناك أرض طيبة تقبـل المـاء وتهــتز وتربــو وتنبت الكلأ والعشــب والخــيرات الكثــيرة والثمار اليانعة، وهناك أرض تمسـك المـاء فينتفـع النـاس، وهناك أرض سبخة لا تمسك الماء ولا تنبت كلاً ولا عشباً.
كذلك القلوب تختلـف، فهنـاك قلـوب طيبـة عنـدما تسـمع القـرآن تثمـر الثمـار الطيبـة والأعمـال الصـالحة، وهنـاك قلوب تعي وتحفظ القرآن، وتبلغه فينتفـع النـاس، وهنـاك قلوب لا تنتفع في نفسها ولا تنفع غيرها.
قال: (وجلاء أحزاننـا، وذهـاب همومنـا وغمومنـا، إلا أذهب الله همه وغمه وأبدله مكانه فرحاً).
فمن قال هذه الكلمات الطيبـات من كلمـات النـبي عليـه الصلوات أذهب الله عنه همه وغمه.
فينبغي لـه أن يلجـأ إلى هـذه الأفكـار الطيبـة الـتي تعـالج القلوب، وذلك بتجديد التوحيـد والتسـليم للشـرع المجيـد، فإنه سيجد بركـة كلام النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم في علاج كثير من الأمراض النفسية كالاكتئاب وغيره وسيغنيه عن كثـير من العقـاقير أو العلاجـات الـتي لا تزيـد إلا همـاً وغماً وحزنا، فالإنسان ينبغي له أن يعـالج قلبـه بالعلاجـات القرآنية، وبالأحاديث النبوية؛ لأن القلوب لا تصلح إلا بذلك، فنسأل الله تعالى أن يصلح قلوبنا، وأن يغفر ذنوبنا.
أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.
وصلى الله وسـلم وبـارك على محمـد وعلى آلـه وصـحبه وسلم تسليماً.
(4/4)

مجالس رمضان_شهر الاستغفار
من فضــل اللــه عــز وجــل على عبــاده أن شــرع لهم الاستغفار من ذنوبهم في كل وقت، وفي الأوقات الفاضلة لا سيما شهر رمضان، وقـد حث اللـه على الاسـتغفار في كتابـه، وجعـل أسـباباً للمغفـرة، وشـرع آدابـاً يتحلى بهـا المؤمن حال استغفاره ودعائه.
(5/1)

فضل الاستغفار وبيان أفضله

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ باللـه من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسـوله، صـلى اللـه عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

أما بعـد: هـذا الشـهر الكـريم ليس شـهر الصـيام والقيـام وتلاوة القرآن والدعاء فحسـب، ولكنـه كـذلك شـهر طلب المغفرة من الله عـز وجـل، قـال النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم: (رغم أنف رجل دخل عليه رمضـان ثم انسـلخ ولم يغفـر لـه)، فقـد كـثرت في هـذا الشـهر الكـريم أسـباب المغفرة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من صـام رمضان إيماناً واحتساباً غفـر لـه مـا تقـدم من ذنبـه، ومن قام رمضان إيماناً واحتساباً غفـر لـه مـا تقـدم من ذنبـه)، وقال صلى الله عليه وسـلم: (من قـام ليلـة القـدر إيمانـاً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبـه)، والمغفـرة: هي سـتر الذنوب مع محو عقوبتها.

أي: أن اللـه عـز وجـل يسـتر على العبـد فلا يفضـحه في الدنيا، ولا في عرصات القيامـة، ويمحـو عنـه عقوبـة هـذه الذنوب.

وقد أكثر الله عز وجل من ذكر الاستغفار في كتابه، فتارة يمـدح أهلـه، كمـا قـال في وصـف المحسـنين: {وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ} [آل عمـران:17]، وتـارة يـأمر به: {وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [البقـرة:199]، وتارة يخبر الله عز وجل أنه يغفر لمن استغفره، فقال عز وجل: {وَمَنْ يَعْمَلْ سُـوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَـهُ ثُمَّ يَسْـتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا} [النساء:110].

وحكم الاستغفار كحكم الدعاء، فهو سـبب مقتضٍ للإجابـة إذا توفرت الشرائط وانتفت الموانع، فكذلك الله عز وجل يغفر لمن اسـتغفره إذا تـوفرت شـرائط المغفـرة وانتفت الموانع.

أفضل الاستغفار ما بدئ بحمد الله عز وجل وتمجيده، واعتراف العبد بذنوبه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أبوء بنعمتك علي، وأبوء بذنبي فاغفر لي؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت).
فهذا كان سيد الاستغفار؛ لأنه يشتمل على الاعتراف بنعم الله عز وجل على العبد، وكذلك اعتراف العبد بذنوبه: (أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي)، أي: واعترف بذنبي.
وكما يقولون: العارف يسير إلى الله عز وجل بين مشاهدة المنة، ومطاوعة عيب النفس والعمل؛ فينظر بإحدى عينيه إلى نعم الله عز وجل عليه، وهذا يورثه كمال الحب لله عز وجل، وينظر بالعين الأخرى إلى عيوب نفسه وسيئات عمله فيورثه ذلك كمال الذل لله عز وجل، وهما شقا العبادة.
وقالوا: العارف يخرج من الدنيا وما قضى وطره من شيئين: ثناؤه على ربه عز وجل، وبكاؤه على نفسه.

_____

الدعاء مع الرجاء وكثرة الاستغفار من أعظم أسباب المغفرة

روى الترمذي بسند حسن وحسنه الألباني رحمه الله في الصحيحة عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قال الله تعالى: يا ابن آدم! إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك ولا أبالي.
يا ابن آدم! لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني لغفرت لك.
يا ابن آدم! لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة)، فهذا الحديث يبين لنا ثلاثة أسباب من أعظم أسباب المغفرة.
أما السبب الأول: فهو الدعاء مع الرجاء: (يا ابن آدم! إنك ما دعوتني ورجوتني)، وهو من أعظم أسباب المغفرة.

السبب الثاني من أسباب المغفرة: كثرة الاستغفار، وهو طلب المغفرة من الله عز وجل.
قال الحسن: أكثروا من الاستغفار على موائدكم وفي طرقكم وفي مجالسكم، فإنكم لا تدرون متى تنزل المغفرة، وروي أن لقمان قال لابنه: يا بني! عود لسانك: اللهم اغفر لي.
فإن لله ساعات لا يرد فيها سائلاً، وقال علي رضي الله عنه: ما ألهم الله عبداً الاستغفار وهو يريد أن يعذبه؛ لأن الله عز وجل إذا أراد لعبد خيراً فتح له باب الخير، فإذا أراد أن يغفر له ألهمه الاستغفار، فيستغفر العبد فيقبل الرب عز وجل منه ويغفر له، كما إذا أراد الله عز وجل أن يتوب على عبد يوفقه للتوبة ويقبل منه توبته.
قال عز وجل: {ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا} [التوبة:118]، وإذا أراد الله أن يعطي عبداً مسألة يفتح عليه باب الدعاء بهذه المسألة، فيسأل العبد ربه فيقبل الرب عز وجل منه ويعطيه سؤله، فالله عز وجل هو الأول والآخر والظاهر والباطن، كذلك تقول عائشة رضي الله عنها: طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً.
فينبغي للعبد أن يكثر من استغفار الله عز وجل، روى مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة)، فهذا النبي صلى الله عليه وسلم المعصوم الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يستغفر الله عز وجل في اليوم مائة مرة، وكان يقول: (توبوا إلى الله واستغفروه فوالله إني لأتوب إليه وأستغفره، في اليوم أكثر من سبعين مرة).

توحيد الله عز وجل من أعظم أسباب المغفرة
السبب الثالث وهو من أعظم أسباب المغفرة: توحيد الله عز وجل: (يا ابن آدم! لو أتيتني بقراب الأرض خطايا؛ ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة)ـ

يقول ابن القيم رحمه الله: يعفى لأهل التوحيد المحض الذين لم يشوبوه بشيء ما لا يعفى لغيرهم، فلو أتى الموحد الذي أخلص توحيده لله عز وجل ربه بقراب الأرض خطايا لأتاه الله عز وجل بقرابها مغفرة، ودل على ذلك أيضاً حديث البطاقة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (يصاح على رجل من أمتي يوم القيامة فيقال: احضر وزنك، وينشر له تسعة وتسعون سجلاً، كل سجل مد البصر مليئة بالذنوب والخطايا، فتوضع في كفة، ويظن أنه هالك، فيؤتى له ببطاقة عليها لا إله إلا الله، فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فتطيش السجلات وتثقل البطاقة).

يقول ابن القيم: إن هذا الرجل حقق التوحيد، ووقع في ذنوب دون الشرك، فليست هذه بطاقة كل مسلم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والله تعالى يقول: {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ} [يوسف:106]، ولكن هذا الرجل قام بالتوحيد حق القيام، ووقع في ذنوب دون الشرك، فنجا ببركة التوحيد وفضله، فينبغي للعبد أن يخلص توحيده لله عز وجل، فالتوحيد هو الإكسير الأعظم الذي لو وضعت منه ذرة على جبال من الذنوب لنسفتها نسفاً، قال الله عز وجل: {إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء:48]، وقال: {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ} [المائدة:72].

فينبغي للعبد أن يحقق التوحيد بقلبه وجوارحه، حتى يكون على رجاء المغفرة من الله عز وجل.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم، وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

(5/4)

مجالس رمضان_شهر التوبة

من فضل الله تعالى أن فتح باب التوبة للتائبين، ولقبول التوبة شروط، ولها علامات تدل على صحتها وعلامات

تدل على عدم صحتها، وكل ذلك حري بالمسلم أن يعلمه ليبتغي مواضع الفضل فيه.
(6/1)

_____

أهمية التوبة ودعوة الناس كافة إليها

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

أما بعد: فإن شهر رمضان هو شهر التوبة، فهو الشهر الذي تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب النار، وتصفد فيه الشياطين، فالذي لا يستطيع أن يقهر نفسه ويطوعها لله عز وجل في هذا الشهر الكريم وقد صفدت الشياطين فمتى يستطيع قهر نفسه؟ ومتى يستطيع إلزام نفسه بطاعة الله عز وجل والاستقامة على طريقه سبحانه؟ والتوبة هي بداية الطريق ووسطه ونهايته، وبعد ما قدمه الصحابة الكرام من الإيمان والهجرة والجهاد والصبر أمرهم بالتوبة فقال عز وجل: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [النور:31]، فهذه الآية آية مدنية نزلت بعد الإيمان والهجرة والجهاد والصبر، أمرهم الله عز وجل فيها بالتوبة وعلق فلاحهم بها، فقال عز وجل: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [النور:31].

وقال عز وجل: {وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [الحجرات:11]، فقسم الله عز وجل الناس إلى تائب وظالم، وليس ثم فريق ثالث: {وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [الحجرات:11].

وقد فتح الله عز وجل هذا الباب العظيم -باب التوبة- وأمر جميع العباد بالولوج من هذا الباب، فأمر المنافقين بالولوج منه، كما أمر المشركين عامة، وأمر اليهود والنصارى، وأمر المسرفين على أنفسهم من أمة النبي صلى الله عليه وسلم ومن غيرهم، كما أمر بذلك

المؤمنين الصادقين، فالله عز وجل دعـا جميـع العبـاد إلى التوبة وإلى الدخول من هـذا البـاب العظيم فقـد دعـا إلى ذلك المنافقين فقال: {إِنَّ الْمُنَـافِقِينَ فِي الـدَّرْكِ الأَسْـفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِـدَ لَهُمْ نَصِـيرًا * إِلَّا الَّذِينَ تَـابُوا وَأَصْـلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُـوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَئِكَ مَـعَ الْمُـؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا} [النسـاء:145 - 146].
كما دعا المشركين فقال: {فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ} [التوبة:5].
وقال: {فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّـلاةَ وَآتَـوُا الزَّكَـاةَ فَـإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ} [التوبة:11].
كمـا دعـا اليهـود والنصـارى الـذين قـالوا: {إِنَّ اللَّهَ ثَـالِثُ ثَلاثَةٍ} [المائدة:73]، والـذين قـالوا: {إِنَّ اللَّهَ فَقِـيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ} [آل عمران:181]، والذين قالوا: {يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَـةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا} [المائدة:64].
فقال عز وجل بعد أن ذكـر حـالهم: {أَفَلا يَتُوبُـونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ} [المائدة:74].
كما دعا إلى ذلك المسرفين على أنفسهم من أمـة النـبي صلى الله عليه وسلم فقال تعالى: {قُـلْ يَـا عِبَـادِيَ الَّذِينَ أَسْـرَفُوا عَلَى أَنْفُسِـهِمْ لا تَقْنَطُـوا مِنْ رَحْمَـةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا} [الزمر:53].
كما دعا المؤمنين الصادقين فقال: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [النور:31].

شرائط التوبة
والتوبة لها شرائط: الشرط الأول: الإقلاع عن الذنب.
الشرط الثاني: الندم على فعله.
الشرط الثالث: العزم على عدم العودة.
الشرط الرابع: رد المظالم.
الشرط الخامس: أن تقع التوبة في الوقت الذي تقبل فيه وقبل أن يغلق بابها.

أما الإقلاع عن الذنب فتستحيل التوبة مع الاستمرار على الذنب، فيجب على العبد أن يقلع عن الذنب، والندم على فعله يدل على استقباح هذا الفعل، والندم توبة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (والذنب إما أن يحرق بنار الندم في الدنيا، أو يحرق بنار الآخرة).
كذلك يعزم على ألا يعود عزماً صادقاً، واشترط بعض العلماء ألا يعود، ولكن الصحيح أن الذي يشترط هو العزم على ألا يعود، فكم من محب للصحة ويأكل ما يضره.
الشرط الرابع: وهو رد المظالم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من كان لأخيه عنده مظلمة من مال أو عرض فليتحلله اليوم من قبل ألا يكون دينار ولا درهم إلا الحسنات والسيئات) قبل أن يكون التعامل بالعملة الصعبة بالحسنات والسيئات.
الشرط الخامس: وهو أن تقع التوبة في الوقت الذي تقبل فيه، وهو قبل أن تطلع الشمس من مغربها، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغرها).
كذلك عندما يصل العبد إلى الحشرجة، كما قال تعالى: {وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ} [النساء:18]، فساوى الله عز وجل بين من يموت على الكفر، وبين من يتوب عند الموت في عدم قبول التوبة.
قال الحسن: ابن آدم! لا يجتمع عليك حسرتان: سكرة الموت، وحسرة الفوت.
أي: فوت التوبة.
وقال بعض السلف منهم عمر بن عبد العزيز في قوله تعالى: {وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ} [سبأ:54]، قال: حيل بينهم وبين التوبة حين سألوها، فأكثر الناس يسوفون بالتوبة، ويؤجلونها إلى الوقت الذي لا تقبل فيه فيتوبون عند حشرجة الموت، وهو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة،

فمن شروط صحة التوبة أن تقع في الوقت الذي تقبل فيه وقبل أن يغلق بابها.
(6/3)

علامات صحة التوبة وعدم صحتها
هناك علامات للتهمة في التوبة، وعلامات لصحة التوبة، فمن علامات التهمة استمرار الغفلة، والتفات القلب إلى الذنب الفينة بعد الفينة، وتذكر حلاوة مواقعته.
ومن علامات التهمة الاطمئنان والأمان، حتى كأنه أعطي منشوراً بالأمان، فالعبد قد تاب، ولكنه لا يدري هل قبلت توبته أم لا، وهل محيت حوبته أم لا.
أما علامات الصحة فمن علاماتها: أن يستقيم العبد على طاعة الله عز وجل، كما قال الله عز وجل: {وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا} [الفرقان:71]، فيكون حال العبد بعد التوبة غير حاله قبلها، فيستقيم على طاعة الله عز وجل، فالتوبة الصادقة هي التي يعقبها عمل صالح: {وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا} [الفرقان:71].
ومن علامات الصحة كذلك: أن يستمر العبد على الخوف؛ لأنه يعلم أنه قد تاب، ولكنه لا يدري هل قبل الله عز وجل توبته أم لا، فهو على الخوف حتى تنزل عليه رسل تبشره بقول الله عز وجل: {أَلَّا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} [فصلت:30]، فهناك يزول خوفه.
ومن علامات الصحة كذلك: أن يتقطع قلب العبد كما قال سفيان بن عيينة في قوله عز وجل: {لا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ} [التوبة:110]، قال: تقطعها بالتوبة، والقلوب لا بد أن تتقطع إما بالتوبة في الدنيا، وإما يوم القيامة إذا حقت الحقائق وعاين الخلق ثواب المطيعين وعقاب العاصين.
ومن علامات الصحة: كسرة تصيب قلب العبد وتطرحه على باب الله عز وجل ذليلاً، ويكون حاله كحال عبد أبق من سيده بعد كثرة جناياته ومخالفاته، وهو يعلم أن منتهى سعادته في رضا سيده عنه، فأحيط به وأعيد إلى سيده،

فمـا أحلى قولـه عنـد ذلـك: أسـألك بقوتـك وضـعفي إلا رحمتني، أسألك بغناك عـني وفقـري إليـك، هـذه ناصـيتي الكاذبة الخاطئة بين يديك، عبيدك سـواي كثـير، وليس لي سيد سواك، أسألك مسألة المسكين، وأبتهل إليـك ابتهـال الخـائف الضـرير، يـا من ذل لـك قلبـه! وخشـعت لـك جوارحه! يـا من ألـوذ بـه فيمـا أؤملـه ومن أعـوذ بـه ممـا أحـاذره لا يجـبر النـاس عظمـاً أنت كاسـره ولا يهيضـون عظماً أنت جابره فالبدار البدار إلى التوبـة قبـل أن تعمـل سموم الذنوب بروح الإيمان عملاً يجاوز الأمر فيـه مجهـود الأطبـاء واختبـارهم، فلا ينفـع بعـد ذلـك نصـح الناصـحين ووعـظ الـواعظين، وتحـق الكلمـة عليـه أنـه من أصـحاب الجحيم.
فالتوبــة التوبــة قبــل أن يــأتيكم من المــوت النوبــة، فلا تحصلوا إلا على الخسران والخيبة.
الإنابة الإنابة قبل غلق باب الإجابة.
الإفاقة الإفاقة فقد قرب وقت الفاقة.
(6/4)

_____

أقسام الناس في التوبة
الناس في التوبة على أقسام: منهم من لا يتوب إلى اللــه عز وجل، بل يعيش حيـاة الغفلـة والمعاصـي حـتى يمـوت على ذلك، فهو لم يقف يومـاً في الصـف، ولم يـدخل بيت الله، ولم يقل: إياك نعبد وإياك نستعين، ولعله لا يدخل إلا مــرة واحــدة، ولا يــدخل على قدميــه، بــل محمــولاً على خشـبته، ولا يـدخل من أجـل أن يصـلي، بـل من أجـل أن يصلى عليه، ثم لا يعود بعد ذلك إلى المسـجد مـرة ثانيـة، فهذه حالة المصـرين على المعاصـي الـذين يموتـون على هذه الحال، نعوذ بالله من حال أهل البوار.
القسم الثاني عباد الله! من يعرف ربه عز وجل برهـة من عمـره وزمانـاً من دهـره، ثم ينقلب -لعلم اللـه عـز وجـل فيه- فيعمل بمعصية الله عز وجل ويموت على ذلك.
ما أصعب العمى بعد البصيرة، وأصـعب منـه الضـلالة بعـد الهدى، والمعصية بعد التقوى، كم من وجوه خاشعة ووقـع

على قصص أعمالها عاملة ناصبة! كم من قارب مركبه ساحل النجاة، فلما هم أن يرتقي لعب به موج فغرق! كل العباد تحت هذا الخطر (قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء)، ليس العجب ممن هلك كيف هلك، إنما العجب ممن نجا كيف نجا.
يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (فوالذي نفسي بيده! إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها).
وتقول السيدة عائشة رضي الله عنها: إن الرجل ليعمل زماناً بعمل أهل الجنة وهو من أهل النار، والعياذ بالله.
القسم الثالث عباد الله! من يعمل بمعصية الله عز وجل، ثم يوفق إلى توبة نصوح، فيعمل بطاعة الله عز وجل، ويموت على ذلك، ومن هؤلاء من يتوب قبل موته بمدة مديدة، تؤهله لأن يصل إلى الدرجات، ومنهم من يتوب قبل موته بمدة يسيرة، فحسبه أن ينجو من اللفحات، وأن يدخل الجنات.
قال النبي صلى الله عليه وسلم: (وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها).
بقي هنا قسم هو أشرف الأقسام، وهو حال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو أن يعمل الرجل عمره كله بطاعة الله عز وجل، ثم ينبه إلى قرب أجله، فيجتهد في العمل، حتى يموت على عمل يصلح للقاء.
لما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا} [النصر:1 - 3]، صار النبي صلى الله عليه وسلم أشد ما يكون اجتهاداً في أمر الآخرة، وكان لا يقوم ولا يقعد إلا قال: سبحان الله العظيم وبحمده يتأول القرآن.
أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

_____
مجالس رمضان_شهر الدعاء
الدعاء من العبادات التي أمرنا الله تعالى بها، والمؤمن يتسلح بالدعاء دائماً، وكلما أكثر المؤمن من سؤاله لمولاه والتضرع بين يديه ودعائه له كان على خير كثير، وللدعاء آداب كثيرة، فحري بالمؤمن التأدب بهذه الآداب لعله يحوز استجابة دعائه.
(7/1)

_____
فضل الدعاء وأهميته
إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.
ثم أما بعد: فهذا الشهر الكريم شهر رمضان ليس شهر الصيام والقيام وقراءة القرآن فحسب، ولكنه كذلك شهر الدعاء؛ لأنه شهر تفتّح فيه أبواب السماء، وتفتّح فيه أبواب الرحمة، وتفتّح فيه أبواب الجنة، وقد ذكر الله عز وجل في كتابه بعد آيات الصيام قوله عز وجل: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} [البقرة: 186] فلا ينسى العبد نفسه من الدعاء في هذا الشهر الكريم، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (الدعاء هو العبادة، ثم تلا قوله عز وجل: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} [غافر:60])، فسبحان الله العظيم ذو الكرم الفياض والجود المتتابع، جعل سؤال عبده لحوائجه وما يصلحه في الدنيا والآخرة عبادة، وأمر العبد به، واعتبر الذين لا يدعونه عز وجل ولا ينزلون حوائجهم به عز وجل مستكبرين، فقد أمر الله عز وجل بالدعاء ووعد بالإجابة، قال تعالى: {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ} [النمل:62]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم:

(إن الله حيي كريم يستحي من الرجل إذا رفع يديه أن يردهما صفراً خائبتين)، وقال صلى الله عليه وسلم: (لا تعجزوا في الدعاء فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد)، وقال صلى الله عليه وسلم: (ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم أو قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن يعجّل له دعوته، وإما أن يدّخر له الأجر في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها)، فالله عز وجل يقبل الدعاء، ولكن الصورة التي يقبل فيها الدعاء تختلف، فقد يجيب العبد إلى سؤاله، وقد يدّخر له أجراً في الآخرة، وقد يصرف عنه من البلاء والمصائب ما هو أعظم مما دعا به العبد.

رأى أحد العلماء رجلاً يتردد على أحد الملوك، فقال له: يا هذا! تذهب إلى من يسد دونك بابه، ويظهر لك فقره، ويخفي عنك غناه، وتدعُ من يفتح لك بابَه ويظهر لك غناه، ويقول: {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [غافر:60].

قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من لم يسأل الله يغضب عليه).

قال الشاعر: لا تسألن بني آدم حاجة وسل الذي أبوابه لا تُحجب الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يُسأل يغضبُ فالله عز وجل يغضب حين لا يسأله العبد، أما ابن آدم يغضب حين يُسأل؛ لأن الله عز وجل ليس كمثله شيء وهو غني كريم يحب أن يتفضّل على عباده، يد الله ملأى لا تغيضها نفقة، سحّاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض فإنه لم ينقص ما في يمينه.

فالدعاء سبب مقتض للإجابة إذا توفّرت الشرائط وانتفت الموانع، وشرائط الدعاء هي آداب الدعاء.

ومن آداب الدعاء: 1 - أن يدعو العبد ربه وهو موقن بالإجابة؛ لأن الله عز وجل وعد بالإجابة، فقال: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [غافر:60].

2 - أن يعظّم العبد الرغبة في الله عز وجل؛ لأن اللـه عـز وجل غني كريم، لو أعطى كل الخلق جميع ما يؤملونه لما نقص ذلك مما عند الله عز وجل إلا كما ينقص المخيط إذا أُدخل البحر، فالعبد يطمع في الله عز وجـل، وفي رحمتـه وكرمه.
3 - ألا يعجل العبد، كما قال النبي صلى الله عليـه وسـلم: (يسـتجاب لأحـدكم مـا لم يعجـل، قـالوا: كيـف يعجـل يـا رسول الله؟ قال: يقول: دعوت فلم يستجب لي)، فالعبـد يطلب المسألة من الله عز وجل مرة أو مرتين أو ثلاث أو أكثر من ذلك، ثم يترك الطلب ويترك الدعاء؛ لأنه لم يجـد الإجابـة على الصـورة الـتي طلبهـا، فهـذا يكـون كالمبخِّل للرب الكريم الذي لا ينقصه العطاء، بـل ينبغي على العبـد أن يلازم الـدعاء، ومن داوم طـرق البـاب يوشـك أن يُفتح له، ويمثلـون من يـدعو بشـيء معين ثم يـترك الـدعاء بـه بمن حرث الأرض وبذر البـذر، وتعهّـد الـزرع بالخدمـة، ثم استبطأ خروج الثمر فترك الزرع فأضاع مجهوده السـابق، فينبغي للعبد أن يلازم المسألة.
4 - أن يحسن الظن بالله عز وجل، فيقول: لعله يستجيب لي، أو يدّخر لي أجراً، أو لعله يصرف عني سوء، ويسـيء الظن بنفسـه فيقـول: لعلي قـاطع رحم، أو لعـل مطعمي حرام أو مشربي حرام، فيراجع نفسه ويراجـع عبادتـه مـع الله عز وجل.
5 - أن يلح العبد في الدعاء، (كان النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم إذا دعا دعا ثلاثاً، وإذا سلّم سلّم ثلاثاً).
6 - أن يتخير العبد الأوقات والأحوال والدعوات.
يتخير الأوقات كيوم عرفة من أيام السنة، وليلة القدر من بين الليالي، والثلث الأخـير من الليـل، وأن يتحـرى سـاعة الجمعة، والراجح أنها آخر ساعة من بعد عصر يوم الجمعة أي: قبل المغرب، وقيل: هي ساعة صعود الخطيب المنبر إلى حين ينزل.
أيضاً الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد.
ويتخير الأحوال كحال نزول المطر؛ لأن الله عز وجل قرن نزول المطر بالرحمة فقـال عـز وجـل: {وَهُـوَ الَّذِي يُنَـزِّلُ

الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ} [الشورى:28]، وحال السجود، لقوله صلى الله عليه وسلم: (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا فيه من الدعاء فقمن أن يستجاب لكم) أي: جدير أن يستجاب لكم.
كذلك عند زحف الصفوف لرفع راية الله عز وجل وإعلاء كلمته عز وجل، يقولون: شرف الحال لشرف الوقت، فيوم عرفة يوم تكثر فيه الأسئلة على الله عز وجل ويكثر فيه الدعاء، والله عز وجل ليس كمثله شيء، فترجى الإجابة عند كثرة المسائل، كذلك عند ساعة الجمعة ترتفع الأيدي وتُظهر شعيرة الجمعة فعند ذلك يُرجى قبول الدعاء.
ينبغي أن يتخير العبد كذلك الدعوات القرآنية أو ما ثبت في السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يتكلّف السجع في الدعاء.
7 - أن يطيّب العبد مطعمه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا} [المؤمنون:51]، وقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} [البقرة: 172]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه يقول: يا رب يا رب، ومطعمه حرام ومشربه حرام وغُذي بالحرام، فإنى يُستجاب لذلك؟) فالله عز وجل ما فرّق بين الرسل الكرام وبين عامة المسلمين في الأمر بالأكل من الحلال الطيب فقال: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا} [المؤمنون:51]، وقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} [البقرة:172]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر، ودعوة المسافر مستجابة للمشقة التي يجدها ولكسرة قلبه، والله عز وجل يقبل دعاء المنكسرة قلوبهم إذا مدوا أيديهم، ورفع اليدين متواتر في الدعاء يقول: يا رب يا رب، وفي هذا إلحاح على الله عز وجل باسم الربوبية، وهذا أيضاً من آداب الدعاء.

8 - أن يبـدأ دعـاءه بحمـد اللـه عـز وجـل والثنـاء عليـه، والصلاة على النبي صلى الله عليـه وآلـه وسـلم، والـدعاء للنبي صلى الله عليه وسلم، ثم يدعو ويختم كذلك بالحمد والثناء والصلاة على رسول الله.
(رأى النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يدعو لم يحمد اللـه عز وجل ولم يصل على نبيه صلى الله عليه وسلم فقـال: عجّل هذا، ثم دعاه وقال له ولغيره: إذا دعا أحدكم فليبـدأ بتحميد الرب جل وعلا، ويثني بالصلاة على نبيه صلى اللـه عليه وسلم).
9 - أدب الباطن وهو التوبة والاستجابة لله عز وجل، فمن أراد أن يستجيب الله عز وجل له فينبغي أن يستجيب للـه عز وجل، كما قال تعال
(7/3)

_____

مجالس رمضان_شهر الذكر
الذكر من أفضل القربات إلى الله عز وجل، وقد مدح الله تعالى الذاكرين كثيراً وأثنى عليهم ثناءً عظيماً، فالذكر من خير الأعمال وأفضلها عنـد اللـه وأزكاهـا، وللـذكر فضـائل كثــيرة وفوائــد عظيمــة ينالهــا الــذاكرون اللــه كثــيراً والذاكرات.
(8/1)

_____

تعريف الذكر
إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ باللـه من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضـل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحـده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبـده ورسـوله، صـلى اللـه عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.
ثم أما بعـد: شـهر رمضـان هـو شـهر الـذكر؛ فـإن أفضـل الحجاج أكثرهم ذكـراً للـه عـز وجـل، وأفضـل المجاهـدين أكثرهم ذكراً لله عز وجل، وأفضل الصـوام أكـثرهم ذكـراً لله عز وجل.

والذكر: هو منشور الولايـة الـذي من أعطيـه اتصـل، ومن منعه عزل، وهو الباب المفتوح بين العبـد وبين ربـه مـا لم يغلقه العبد بغفلته.
قال الحسن: تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشـياء: في الصـلاة، والذكر، وتلاوة القرآن؛ فإن وجدتم وإلا فـاعلموا أن البـاب مغلق.
في كل جارحة من جوارح العباد عبودية مؤقتة، والذكر هو عبودية القلب واللسان، وهي غير مؤقتة، بـل أمـروا بـذكر معبودهم ومحبوبهم قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم.
ومدح الله عز وجل الـذاكرين والـذاكرات، وأعـد اللـه عـز وجل لهم مغفرة وأجراً عظيماً.
(8/2)

فوائد الذكر
ذكر العلامة ابن القيم في كتابـه القيم الوابـل الصـيب من الكلم الطيب أكثر من سبعين فائدة من فوائد الذكر: فمن ذلك: أنه يرضي الرحمن عـز وجـل، وأنـه يقمـع الشـيطان ويكسره، وأنه يوصـل إلى درجـة المراقبـة والإحسـان، ولا يمكن للعبد أن يصل إلى درجة الإحسان بغير ذكر الله عز وجل، كما أن القاعد لا يمكن أن يصل إلى بيته، كذلك من قعد عن ذكر اللـه عـز وجـل لا يمكن أن يصـل إلى درجـة الإحسان.
قال شيخ الإسلام: والذكر للقلب كالماء للسمك.
فـانظر كيـف يكـون حـال السـمك إذا أخـرج من المـاء؟! والذكر علاج قسوة القلب.
قال رجل للحسن: يا أبا سعيد! أشكو إليك قسوة قلبي.
قال: أذبه بالذكر.
وشكوا إلى أم المؤمنين عائشـة رضـي اللـه عنهـا قسـوة قلوبهم.
قالت: ادنوه من الذكر.
أي: قربوه من الذكر، فالذكر يلين القلب القاسي.
ومن فضائل الذكر وفوائده: أنه يورث ذكر الله عـز وجـل، كما قال تعالى: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ} [البقرة:152]، وكما

في الحديث القدسي: (فإن ذكـرني في نفسـه ذكرتـه في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم).
ومن ذلك: أن الجبال والقفار تتباهى إذا مر عليها ذاكر لله عز وجـل، كمـا في بعض الآثـار: إن الجبـل لينـادي الجبـل باسمه فيقول له: هل مر عليك اليوم ذاكر لله عـز وجـل؟ فإن قال: نعم استبشر.
ومن ذلك: أنه ليس هناك عمل يـورث حلاوة العبـادة مثـل ذكـر اللـه عـز وجـل، كمـا قـال مالـك بن دينـار: مـا تلـذذ المتلذذون بمثل ذكر الله عز وجل.
والله تعالى لم يحرم أهل الجنة من نعيم الـذكر فـدعواهم فيها: {سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَـالَمِينَ} [يـونس:10]، مـع أن الجنـة دار نعيم وليست دار تكليف، ولكن لمـا كـان الـذكر من أعظم نعيم الدنيا لم يحرم أهل الجنة من هذا النعيم.
وكثرة الذكر أمان من النفـاق؛ فـإن المنـافقين لا يـذكرون الله إلا قليلاً، ولـذلك لمـا سـئل علي رضـي اللـه عنـه عن الخوارج أمنافقون هم؟ فقال: المنـافقون لا يـذكرون اللـه إلا قليلاً، وكان الخوارج معروفين بكثرة الذكر، وكان الـذي يمـر بمعسـكرات الخـوارج يسـمع تلاوة القـرآن كطـنين النحل.
قال بعض العلماء: ختم اللـه عـز وجـل سـورة المنـافقون بقوله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا لا تُلْهِكُمْ أَمْـوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْـــرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَـــلْ ذَلِـــكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} [المنافقون:9]، فالذكر أمان من النفاق.
ومن فوائد الذكر كذلك أنه أمان من نسيان العبد لنفســه، فإذا نسى العبد ربه عز وجل أنساه الله عـز وجـل نفسـه، كما قال تعالى: {نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ} [التوبـة:67]، {وَمَـا كَـانَ رَبُّكَ نَسِـيًّا} [مـريم:64]، والنسـيان يـأتي بمعـنى: الترك، فالله عز وجـل ليقسـم لهم من توفيقـه ولا يقسـم لهم في الآخـرة من رحمتـه، وقـال تعـالى: {نَسُـوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ} [الحشر:19]، فمن نسى ذكر الله عـز وجل أنساه الله عز وجل نفسـه فينسـى أن يصـلح نفسـه وأن يقـدم لحياتـه، ويكـون حالـه كحـال من عنـده زرع أو

ماشية وما لا صلاح له إلا بالتعهد والعناية والرعاية فينساه فيهلك ولابد.
ومن فوائد الذكر كذلك: أنه غراس الجنة، كما أخبر الخليل إبراهيم عليه السلام محمداً صلى الله عليه وسلم فقال: (أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (من قال: سبحان الله العظيم وبحمده غرست له بها نخلة في الجنة).
ومن فوائد الذكر كذلك أنه يورث صلاة الله عز وجل على العبد، كما قال رجل لـ أبي أمامة: رأيت الملائكة تصلي عليك إذا دخلت وإذا خرجت، فقال: وأنتم لو شئتم صلت عليكم الملائكة، ثم تلا: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا} [الأحزاب:41 - 43].
ومن فوائد الذكر كذلك: أنه يغني عن غيره من نوافل العبادات حيث لا تغني جميع النوافل عن ذكر الله عز وجل كما في الأثر: إذا أعظمكم هذا الليل أن تكابدوه، وبخلتم بالمال أن تنفقوه، وجبنتم عن العدو أن تقاتلوه، فأكثروا من ذكر الله عز وجل.
وقال ابن مسعود رضي الله عنه: لأن أسبح الله عز وجل تسبيحات أحب إلي من أن أنفق عددهن دنانير في سبيل الله عز وجل، ولما ذهب وفد الفقراء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: (ذهب أصحاب الدثور بال

مجالس رمضان_شهر القرآن
وصف الله عز وجل شهر رمضان بأنه شهر القرآن، وهذا يدل على فضل القرآن في هذا الشهر، ومدى ارتباطه به، فشهر منوط بكلام الله عز وجل حري بالمؤمن أن يعتني به، وأن يستغله في فهم كتاب الله تعالى وكثرة تلاوته فيه مع التدبر والتعقل، ثم إتباع ذلك بالعمل.

خصوصية شهر رمضان بالقرآن

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

ثم أما بعد: فشهر رمضان ليس شهر الصيام والقيام فحسب، ولكنه كذلك شهر القرآن، فله خصوصية بالقرآن، قال الله عز وجل: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ} [البقرة:185]، فأنزل القرآن الكريم جملة في هذا الشهر المبارك، وفي ليلة مباركة وهي ليلة القدر، كما قال تعالى: {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا} [القدر:1 - 4].

فالله عز وجل أنزل هذا القرآن قيل: جملة واحدة، في مكان يسمى بيت العزة في السماء الدنيا، ثم نزل بعد ذلك منجماً على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقيل: ابتدأ نزول القرآن في ليلة القدر من رمضان، والقرآن كله يسمى قرآناً، والآية الواحدة تسمى قرآناً.

وقيل: ابتدأ نزول القرآن في هذا الشهر المبارك، وفي الليلة المباركة ليلة القدر، فالشهر له خصوصية بالقرآن.

وروى الشيخان من حديث ابن عباس: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يعارض جبريل القرآن كل ليلة في رمضان).

فكان يعرض القرآن على جبريل عليه السلام، وعارضه القرآن مرتين في السنة الأخيرة من عمره صلى الله عليه وسلم، وأسر إلى فاطمة الزهراء بحديث فبكت رضي الله عنها، ثم أسر إليها بحديث آخر فضحكت، فلما سألت عائشة رضي الله عنها فاطمة الزهراء عما أسر به رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها قالت: (ما كنت

لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما لحق النبي صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى، أخبرت بأن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرها بأن جبريل كان يعارضه القرآن مرة واحدة، وأنه في هذه السنة عارضه القرآن مرتين، وقال: ما أرى ذلك إلا لقرب أجلي، فبكت فاطمة رضي الله عنها، ثم أسر إليها بأنها أول أهله لحوقاً به فضحكت رضي الله عنها، وتوفيت فاطمة الزهراء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بستة أشهر، فكانت أول أهله لحوقاً به).

فهذا الشهر له خصوصية بالقرآن.

كان الإمام مالك إذا دخل الشهر الكريم يترك الحديث ومجالسة أهل العلم، ويقبل على قراءة القرآن من المصحف.

وكان سفيان الثوري يقول: إنما هو إطعام الطعام وقراءة القرآن، فينبغي على المسلم أن يتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن يدارس القرآن من هو أحفظ له منه في هذا الشهر المبارك.

وكان من السلف من يختم القرآن كل عشرة أيام، ومنهم من يختم كل سبعة أيام، ومنهم من يختم في ثلاثة أيام، ورخص بعض العلماء في أن يختم القرآن في أقل من ثلاث في رمضان، لخصوصية يعني هذا الشهر الكريم بالقرآن.

والقرآن جعله الله عز وجل هدى للمتقين كما أخبر الله عز وجل.

والمؤمنون يزدادون إيماناً بسماع القرآن، ولا يزداد الذين في قلوبهم مرض إلا شكاً واضطراباً، كما قال الله عز وجل: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [الأنفال:2].

فمقياس الإيمان الصحيح والصدق في الإيمان أن المسلم عندما يسمع القرآن يزداد إيماناً.

وكما قال الله عز وجل: {وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ

إِيمَانًـا وَهُمْ يَسْتَبْشِـرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُـوبِهِمْ مَـرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ} [التوبة: 124 - 125].
فأهـل الإيمـان الـذين في قلـوبهم صـدق وإيمـان ومحبـة وإخلاص لله عز وجـل عنـدما يسـتمعون للقـرآن يـزدادون إيماناً، والذين في قلوبهم ريب وشكوك ونفاق لا يـزدادون إلا شكاً واضطراباً، فهذا القرآن هـدى للمتقين، واللـه عـز وجل جعله شفاء لما في الصدور.
{وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا} [الإسراء:82].
فهو شفاء لما في الصدور.

_____

أنواع الأمراض وعلاج القرآن لها
والقلوب تصاب بنوعين من الأمـراض: أمـراض الشـبهات، وأمراض الشهوات.
الأول: أمـراض الشـبهات كمـا قـال اللـه عـز وجـل: {فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا} [البقرة:10].
قال مجاهد وغـيره: شـك، فـالمرض هنـا: هـو الشـك، أي: عندهم شك في صدق القـرآن وفي وعـد اللـه عـز وجـل، وفي صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.
والنوع الثاني من الأمراض: أمـراض الشـهوات، كمـا قـال الله عز وجل آمراً أمهات المؤمنين وبـالأولى نسـاء الأمـة: {فَلا تَخْضَــعْنَ بِــالْقَوْلِ فَيَطْمَــعَ الَّذِي فِي قَلْبِــهِ مَــرَضٌ} [الأحزاب:32].
فالمرض هنا هو مرض الشهوة؛ لأن المريض يضـره مـا لا يضر السليم، والسليم يدفع بصـحته وسـلامته أضـعاف مـا يمكن أن يتحمله المريض.
فالقرآن يعالج أمراض الشبهات ويعالج أمـراض الشـهوات يعالج أمراض الشبهات بما فيه من أدلـة قطعيـة وبـراهين ساطعة، كما قال الله عز وجل: {وَضَـرَبَ لَنَـا مَثَلًا وَنَسِـيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُـلْ يُحْيِيهَـا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُـلِّ خَلْـقٍ عَلِيمٌ} [يس:78 -ـ 79]،

قيل: نزلت هذه الآيـة في أحـد الكفـار، أتى بعظمـة باليـة ففركها ونفخها وقال لرسول الله صلى الله عليـه وسـلم: (أويحيي هذا الله بعد أن رم؟ قال: نعم، ويدخلك النار).
أي: بعد أن صار رميماً وتراباً قال: (نعم ويدخلك النار).
ونزلت هذه الآية الكريمة: {وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَـهُ} [يس:78]، أي: نسي هذا الكافر الجاحد أن الله عـز وجـل خلق الإنسان ولم يكن قبل ذلك شيئاً مذكوراً، فالذي يأتي إلى عمارة أو إلى منزل ويقول: لو سـقط هـذا المـنزل لا يستطيع أحد أن يقيمه مرة ثانيـة، لاتهمـه النـاس بالخبـل؛ لأن الــذي أقامــه في المــرة الأولى قــادر ولا شــك على إقامته في المرة الثانية، وهو أهون عليه، أي: أسهل عليه، وكل شيء هين على الله عز وجل: {مَـا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ} [لقمان:28].
فإماتة الخلق جميعاً وإحياء الخلق جميعاً سـهل وهين على الله عز وجل، كإماتة نفس وإحياء نفس، فكـل شـيء هين على الله عز وجل.
فعندما يسمع الإنسان هذه الآية الكريمة فإن أي شـك في نفسـه من البعث لا بـد وأن يـذهب، ولا بـد أن يطمئن إلى صدق الله عز وجل: {وَضَـرَبَ لَنَـا مَثَلًا وَنَسِـيَ خَلْقَـهُ قَـالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ} [يس:78 - 79].
أما علاج القرآن لأمـراض الشـهوات فيكـون بالتزهيـد في الدنيا والترغيب في الآخرة، فعنـدما نقـرأ القـرآن لا نجـده يحدثنا عن المشاكل الحياتية اليومية التي نعيشها، بل يأتي على الدنيا فينسفها نسفاً: {أَنَّمَـا الْحَيَـاةُ الـدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْـوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًـا وَفِي الآخِـرَةِ عَـذَابٌ شَـدِيدٌ وَمَغْفِـرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْـوَانٌ} [الحديـد:20]، فـالقرآن يـأتي على الـدنيا فينسـفها نسـفاً ويصـور لنـا الآخـرة أنهـا هي الحيـاة الباقيـة: {وَإِنَّ الـدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [العنكبوت:64].

فعندما يسمع المسلم القرآن أو يقرأ القرآن لا بد أنه يزهد في الدنيا ويرغب في الآخرة، فإن حب الخطير هو الذي يمحو عن القلب حب الحقير.
فبذلك يعالج القرآن أمراض الشبهات وأمراض الشهوات؛ ولذلك عندما نستمع للقرآن نجد راحة في قلوبنا، ونجد اطمئناناً في نفوسنا؛ لأن القرآن يزيل الشبهات والشهوات من القلوب، وعندما تستريح القلوب من الشبهات والشهوات لا بد أن تطمئن، وأن تسعد وتفرح بالله عز وجل.
قال الله عز وجل: {لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [الحشر:21].
فنسأل الله تعالى أن يوفقنا في هذا الشهر الكريم لتلاوة القرآن وتدبره، والاتعاظ بمواعظه، والقيام به بالليل، والعمل به بالنهار.
أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.
وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه وسلم.
(9/3)

مجالس رمضان_طريق الولاية
ولاية الله تعالى منزلة سامية لا يصل إليها إلا من آمن بالله حق إيمانه وحقق تقوى الله في السر والعلن، وقد آذن الله بمحاربة من حارب أولياء الله، ووعد أولياءه الصالحين بمحبته لهم وقربه منهم وإجابة سؤالهم واستجابة دعائهم.
(10/1)

حديث: (من عادى لي ولياً) أشرف حديث في شأن الولاية
إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله

وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.
ثم أما بعد: روى البخاري في أصح كتب السنة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قال الله تعالى: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته).
فهذا الحديث كما قيل فيه: هو أشرف حديث في شأن الولي، فقد بدأ الحديث بإعلان الحرب من الله عز وجل على من عادى ولياً من أولياء الله عز وجل، فقال: (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب)، أي: فقد أعلمته بأنني محارب له، حيث أنه كان محارباً لي بمعاداته ولياً من أوليائي، فأولياء الله عز وجل تجب موالاتهم، وتحرم معاداتهم، وأعداء الله عز وجل تجب معاداتهم، وتحرم موالاتهم.

صفات أولياء الله وخصائصهم
وولي الله -كما قال الحافظ ابن حجر - هو القائم بطاعته، المخلص في عبادته.
فكل إنسان قائم بطاعة الله عز وجل، مخلص في عبادته فهو ولي من أولياء الله عز وجل.
وذكروا في صفات الولاية: أن يكون مستجاب الدعوة، راضياً عن الله عز وجل في كل حال، مكثراً من طاعة الله عز وجل مشغولاً بها غير منشغل بالتكاثر من أعراض الدنيا، إذا وصل إليه القليل صبر، وإذا وصل إليه الكثير شكر، يستوي عنده المدح والذم، والظهور والخمول، والفقر والغنى، لأنه يرجو وجه ربه الأعلى لا يرجو وجوه

الناس، حسن الصحبة، كثير الحلم، عظيم الاحتمال، كلما زاده الله عزاً ازداد في نفسه تواضعاً وخضوعاً، فيكون مستجاب الدعوة في منزلة تؤهله إلى أنه إذا دعا الله عز وجل أجابه، وإذا استعاذ بالله عز وجل أعاذه.
قال أيوب السختياني: ينبغي للعالم أن يضع التراب على رأسه تواضعاً لله عز وجل.
(10/3)

_____

من قصص وكرامات الأولياء
إن من وهب له هذه المواهب الجليلة، ومن تخلق بهذه الأخلاق العظيمة، لا نستكثر أن تجري على يده خارقة من الخوارق الرحمانية، وقد ثبتت الخارقة بالكتاب والسنة، كما في القرآن: {كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا} [آل عمران:37]، كما ذكر المفسرون كان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف، {قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} [آل عمران:37]، ومريم لم تكن نبية، وإنما كانت من الأولياء.
كذلك قصة أصحاب الكهف الذين لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً، فهذه كرامة، حيث أنامهم الله عز وجل ثلاثمائة وتسع سنين، ثم بعثهم الله عز وجل.
وفي الصحيح أن قصعة الصديق كلما أكلوا منها ربى من أسفلها أكثر منها، حتى أطعم منها النبي صلى الله عليه وسلم الجيش، فالكرامة ثابتة في الكتاب والسنة الصحيحة.
وقد ورد عن السلف كرامات لا نجزم بصحة جميعها، ولكن وجود الأدلة عليها وثبوت هذه الأدلة يجعلنا نستأنس بهذه الروايات، فيروى أن سعد بن أبي وقاص -وكان مستجاب الدعوة- دعا على امرأة كذبت عليه أن تعمى وأن تموت في أرضها، فعميت ووقعت في حفيرة في أرضها فماتت.
ودعا على الرجل الذي قال بأنه لا يحكم بالسوية، ولا يسير خلف السرية، فدعا عليه بأن يطيل الله عز وجل

عمره، وأن يعظم فقره، وأن يعرضه للفتن، فصار شيخاً كبيراً سقط حاجباه يتعرض للجواري في السكك، ويقول: شيخ مفتون أصابتني دعوة سعد.
ويروى أن صلة بن أشيم أحد العباد التابعين، ماتت فرسه في الغزو، فقال: اللهم! لا تجعل لمخلوق علي منة، ودعا الله عز وجل فأحيا له فرسه، فلما عاد إلى بيته قال لابنه: انزع السرج؛ فإن الفرس عارية، فنزع السرج فماتت الفرس.
ويروى أن الحسن البصري دعا على رجل وقال: إن كنت كاذباً فجعل الله حتفك.
فمات الرجل في مكانه.
وأيضاً يروى أن زنيرة وكانت ممن عذب بمكة ذهب بصرها من تعذيب المشركين لها، فقال المشركون: ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى، فقالت: كلا والله! ودعت الله عز وجل فرد الله عليها بصرها.
كذلك يروى أن أبا مسلم الخولاني -وكان أحد أئمة التابعين- ألقي في النار، فوجد في النار قائماً يصلي، فقال فيه عمر رضي الله عنه: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني في أمة محمد صلى الله عليه وسلم من صنع به كما صنع بإبراهيم.
فالعبد لا يصل إلى هذه الدرجة العالية من إجابة الدعوة، إلا ويصل معها إلى درجات عالية من محبة الله عز وجل والرضا به، كما يروى أن سعد بن أبي وقاص كان معروفاً بإجابة الدعوة، فذهب بصره في آخر عمره، فقيل له: ألا دعوت لبصرك؟ فقال: قضاء الله أحب إلي من بصري.
ويروى أن سعيد بن جبير عذبه الحجاج حتى قتله، وكان يمكن أن يدعو على الحجاج؛ لأنه كان مستجاب الدعوة ولكنه لم يفعل، فقد كان له ديك يوقظه للصلاة، فتأخر الديك يوماً عن الصياح فقال: ما له قطع الله صوته؟ فما صاح الديك بعد ذلك، فقالت له أمه: لا تدع على شيء بعدها أبداً.
فدعا سعيد بأن يكون آخر من يقتله الحجاج، فكان كذلك، فقد مات الحجاج بعده بمدة يسيرة.

شرح حديث: (من عادى لي ولياً)

فنحن لا نستكثر هذه الكرامة، أو الخارقة الرحمانية على من وصف بهذه الصفات السالفة، وليست كل خارقة كرامة، وليس كل من أتت على يده خارقة من الخوارق نشهد بأنه ولي من أولياء الله، فالخارقة قد تكون خارقة رحمانية، وقد تكون خارقة شيطانية، والمقياس الذي نرجع إليه هو مقياس الكتاب والسنة، فلا بد أن يقاس الشخص بمقياس الكتاب والسنة، فيمكن أن تأتي الكرامة على يد مبتدع أو فاسق أو غير معروف بالصلاح، فلا بد أن يقاس نفس الشخص بمقياس الكتاب والسنة، وأن تقاس نفس الخارقة بمقياس الكتاب والسنة.

ولا شك أن أفضل الأولياء هم الأنبياء، وأفضل الأنبياء هم المرسلون، وأفضل المرسلين هم أولو العزم وهم: محمد ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى صلى الله عليهم وسلم.

وأفضل هؤلاء جميعاً نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ويليه في المرتبة إبراهيم الخليل، وقد رتب الحافظ ابن كثير أن بعد الخليل إبراهيم موسى الكليم عليه وعلى نبينا الصلاة والتسليم، ولم يرتب العلماء بين نوح وبين عيسى أيهما أفضل؟ فهؤلاء الخمسة أولوا العزم من الرسل هم أفضل الرسل والأولياء، وقد ذكرهم الله عز وجل في آيتين من كتابه.

ثم يبين الحديث بعد ذلك كيف تكون ولاية الله عز وجل، وكيف يترقى العبد في درجات الولاية؟ فيقول: (وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه)، فينبغي أن يبدأ العبد بالفرائض، فكما قيل في الأثر: أفضل الأعمال أداء ما افترض الله، والورع عما حرم الله، وحسن النية فيما عند الله عز وجل، فينبغي على العبد أن يبدأ بالفرائض؛ لأنها أكثر تقريباً وتحبيباً لله عز وجل.

فمن أراد طريق الولاية فليبدأ بالفرائض، ويراجع نفسه، فيؤدي الصلاة في الوقت الذي ينبغي على الوجه الذي ينبغي في الجماعة وفي أول الوقت، ويتم الركوع

والسجود والخشوع، ويصوم الشهر كما شرع الله عز وجل، ويحج بيت الله الحرام إن استطاع إليه سبيلاً، ويخرج زكاة ماله إن كان عنده مال تجب فيه الزكاة، فيراجع العبد الواجبات التي افترضها الله عز وجل عليه، ويدخل فيها الواجبات التركية، كترك الغيبة والنميمة والغش والزنا، وشرب الخمر وغير ذلك، وهي من باب أولى كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فانتهوا).

ويأتي بحد الاستطاعة في الأوامر دون النواهي، فينبغي على العبد أن يكمل الفرائض أولاً؛ لأنها رأس المال، ثم بعد ذلك يتحبب ويتقرب بكثرة النوافل، وفي الحديث القدسي: (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه)، والنوافل هي ما عدا الفرائض من أجناس الطاعات، فلو جمعنا كل ما يحبه الله عز وجل ويرضاه واستثنينا من ذلك الفرائض فما بقي فهو النوافل.

قال العلماء: ما بال النوافل كانت هي السبب الموصل إلى محبة الله عز وجل دون الفرائض؟ وأجابوا بأن العبد يفعل الفريضة مخافة العقوبة ورجاء الأجر، أما النافلة فيفعلها بنية التحبب والتقرب إلى الله عز وجل، فلما خلصت النية في النوافل كانت هي السبب الموصل إلى محبة الله عز وجل دون الفرائض.

فالعبد ينبغي عليه أن يستكمل الفرائض، ثم يفتح على نفسه أبواب النوافل، وهي كثيرة متنوعة بحسب اختلاف استعدادات الناس وقابليتهم، فهناك نوافل في الصلاة: كالسنن الرواتب وهي اثنا عشر ركعة، كما قال ابن عمر رضي الله عنهما: (حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعاً قبل الظهر، واثنان بعد الظهر، واثنان بعد المغرب، واثنان بعد العشاء، واثنان قبل الصبح).

وورد في فضل هذه النوافل حديث أم حبيبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من صلى في يوم وليلة اثنا عشر سجدة سوى المكتوبة بني له بيت في الجنة).

ومن نوافـل الصـلاة: قيـام الليـل، قـال صـلى اللـه عليـه وسلم: (أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيـام الليـل) كمـا ورد في صحيح مسلم.
ومن نوافل الصلاة: صلاة الضحى، وتحية المسـجد، وسـنة الوضوء، ومطلق التنفل بالصلاة في غير أوقات الكراهة.
وهنـاك نوافـل الصـيام: كصـيام سـت من شـوال، وصـيام الإثنين والخميس، ويوم عرفة، ويوم عاشوراء، وصيام يوم وإفطار يوم، وهـو أحب الصـيام إلى اللـه عـز وجـل، وهـو صيام داود عليه السلام.
وهناك نوافل الإنفـاق في سـبيل اللـه عـز وجـل، ونوافـل الذكر، ونوافل الحج والعمرة بعـد أداء الـواجب، فالمسـلم بعد أن يسـتكمل الفـرائض يبـدأ يتحبب ويتقـرب بالنوافـل حتى يصل إلى محبة الله عز وجل، كما جـاء في الحـديث: (فإذا أحببتـه كنت سـمعه الـذي يسـمع بـه، وبصـره الـذي يبصـر بـه، ويـده الـتي يبطش بهـا) وفي بعض الروايـات: (ورجله التي يمشي بها).
قال الحافظ: وقد استشكل كيـف يكـون البـاري جـل وعلا سمع العبد وبصره ويده ورجله؟ ثم أورد سـبعة أوجـه في تفسـير هـذا الجـزء من الحـديث القدسـي، وأقـرب هـذه الأوجه للصواب أن العبد بكليتـه يكـون مشـغولاً باللـه عـز وجل، فإذا سمع سمع ما يرضي الله، وإذا أبصـر أبصـر مـا يرضي الله، وإذا مد يده فبط
(10/5)

مجالس رمضان_فضائل شهر الصيام
جعـل اللـه تعـالى أوقاتـاً ومواسـم للخـيرات، يزيـد فيهـا الأجـور، ويضـاعف فيهـا الحسـنات، رحمـة منـه سـبحانه وتعالى بعباده وتفضلاً منه تعالى عليهم، ثم دعاهم سبحانه إلى اغتنام هذه الأوقات والمبادرة بالأعمال الصالحة فيهـا، ومن هـذه المواسـم شـهر رمضـان المبـارك، فهـو غنيمـة المسـلم وفرصـته الـتي يـتزود فيهـا بمـا يقربـه إلى ربـه ويوصله إلى مرضاته.
(11/1)

الحث على اغتنام شهر رمضان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين.

أما بعد: يا من طالت غيبته عنا قد قربت أيام المصالحة! يا من دامت خسارته! قد أقبلت أيام التجارة الرابحة، من لم يربح في هذا الشهر ففي أي وقت يربح؟ من لم يقرب فيه من مولاه فهو على بعده لا يبرح.

عباد الله! هبّت اليوم على القلوب نفحة من نفحات نسيم القرب، وسعى سمسار المواعظ للمهجورين في الصلح، ووصلت البشارة للمذنبين بالعفو، وللمنقطعين بالوصل، وللمستوجبين النار بالعتق.

لما سلسل الشيطان في شهر رمضان وخمدت نيران الشهوات بالصيام انعزل سلطان الهوى، وصارت الدولة لحاكم العقل بالعدل، فلم يبق للعاصي عذر.

يا غيوم الغفلة! عن القلوب تقشعي، يا شموس التقوى والإيمان! اطلعي، يا صحائف أعمال الصائمين! ارتفعي، يا عيون المتهجدين! لا تهجعي، يا أقدام المتهجدين! اسجدي لربك واركعي، يا ذنوب التائبين! لا ترجعي، يا أرض الهوى! ابلعي ماءك، ويا سماء النفوس أقلعي، يا همم العارفين! ارتعي، يا قلوب المحبين! بغير الله لا تقنعي.

قد مدت في هذه الأيام موائد الإنعام للصوّام، فما منكم أحد إلا وقد دعي، {يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ} [الأحقاف: 31]، فطوبى لمن أجاب فأصاب، وويل لمن صُد عن الباب وما دُعي.

فضل شهر رمضان

عباد الله! قد أظلنا شهر كريم مبارك، شهر تفتّح فيه أبواب الجنان فلا يُغلق منها باب، وتُغلّق فيه أبواب الجحيم فلا يُفتح منها باب، وتسلسل فيه الشياطين.

شهر تفتّح فيه أبواب السماء، وتفتّح فيه أبواب الرحمة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا دخل رمضان فُتّحت

أبـواب الجنـة)، وفي روايـة (فُتّحت أبـواب الرحمـة)، وفي روايــة: (فُتّحت أبــواب الســماء، وغُلّقت أبــواب النــار، وصفّدت الشياطين، ونادى مناد: يا باغي الخير! أقبل، ويـا باغي الشر! أقصر) فكيف لا يفرح المسلمون بفتح أبـواب الجنة وأبواب السماء وأبواب الرحمـة؟ وكيـف لا يفرحـون بغلق أبواب جهنم وبتصـفيد الشـياطين؟ وينـادي منـاد في كل يوم من هذا الشهر الكريم: يا بـاغي الخـير! أقبـل ويـا بـاغي الشـر! أقصـر، فتجـدون أهـل الخـير والصـلاح أشـد اجتهاداً في طاعة الله عـز وجـل، وفي طلب مرضـاته في هـذا الشـهر الكـريم، وتجـدون أهـل الشـر والفسـاد تقـل غوايتهم وشرهم، فيزداد أهـل الإيمـان إيمانـاً وإقبـالاً على الله عز وجل وطاعة له عز وجل، وتقـل غوايـة أهـل الغي والفساد.

فهو شهر كـريم عبـاد اللـه، موسـم من مواسـم المغفـرة والرحمة، مدرسـة ربانيـة رحمانيـة تفتح أبوابهـا كـل عـام، يتدرب فيها العباد على تقوى الله عـز وجـل وعلى طاعتـه عز وجل؛ لعلهم عندما ينسلخ الشهر الكـريم يصـيرون من المتقين ومن عباد الله عز وجل الصالحين.

الغاية من الصيام

شهر رمضان كله تدريب على تقوى اللـه عـز وجـل وعلى طاعته عز وجـل، وعلى التشـبه بالصـالحين وبالمحسـنين، قال الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَـا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُـونَ} [البقـرة: 183] فالعبـاد المسـلمون في نهـار هـذا الشـهر الكـريم صائمون صابرون لله عز وجـل، تركـوا الطعـام والشـراب لله عز وجل، وبالأولى تركوا كل معصية لله عز وجل.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من لم يدع قـول الـزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يـدع طعامـه وشـرابه) فالمسلم الذي ترك الطعام والشراب وما أباحـه اللـه عـز وجل في غير نهار هـذا الشـهر الكـريم ينبغي لـه من بـاب أولى إذا كـان يفهم حكمـة الصـيام أن يـدع كـل معصـية

للواحد العلام؛ لأنه إذا ترك ما أباحه الله عز وجل في غير نهار الشهر الكريم فبالأولى أن يترك ما حرمه الله عز وجل في هذا الشهر وغير هذا الشهر، لأن من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه، فإذا استمر على قول الزور والعمل بالزور فهو لم يفهم حكمة الصيام، ولم يفهم أن الصيام هو تدريب على تقوى الله عز وجل، وعلى ترك المعاصي، وعلى ترك إطلاق البصر وفضول الكلام والسماع المحرم وغير ذلك، كما قال جابر: إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك، ودع أذى الجار، وليكن عليك سكينة ووقار، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء.
وكان السلف إذا صاموا جلسوا في المساجد، وقالوا: نحفظ صومنا ولا نغتاب أحداً.
(11/4)

_____

أحوال الصائمين في نهارهم وليلهم
المسلم -عباد الله- في نهار رمضان ملتزم بأخلاق الصيام، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق، وإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني صائم، إني صائم) فهو يتشبه بالمحسنين الذين يدرءون بالحسنة السيئة، فلا يجهل على الجاهل بمثل جهله، ولا يسفه على السفيه بمثل سفهه، (فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني صائم، إني صائم) يتدرب على أخلاق المحسنين؛ لأن أخلاق الصائم هي أخلاق المحسنين، فإذا أتى الليل فهو فيه طاعم شاكر كما كان في النهار صائماً صابراً، وكما ترك الطعام والشراب والشهوة لله عز وجل في نهار هذا الشهر فإنه إذا أقبل عليه الليل يبادر بالإفطار، لأن أحب عباد الله عز وجل إليه أعجلهم فطراً، فيبادر بالإفطار طاعة لله عز وجل، ويفرح عند فطره؛ لأنه وفِّق لصيام هذا اليوم، ولأنه أتم العبادة كما أحبها الله عز وجل، فيفرح شرعاً ويفرح طبعاً، لأن العبد الذي منع من شيء تميل النفس إليه ثم رُخِّص له فيه وأُذِن له فيه يفرح بذلك بطبيعة الحال.

فللصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربـه، عندما يرى أجر الصيام مدخوراً موفوراً عند الله عز وجل.
فإذا كان الليل فلا يجلس المسلم أمام الأجهزة الخبيثة ولا يتمتـع بالشـهوات المحرمـة، بـل كمـا شُـغل في النهـار بالصيام فإنه يُشغل في الليل بالقيام، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر لـه مـا تقدم من ذنبه، ومن قام رمضان إيماناً واحتسـاباً غُفـر لـه ما تقدم من ذنبه) فالمسلم في النهـار صـائم صـابر، وفي الليل طاعم شاكر، فهو ينتقـل من طاعـة إلى طاعـة، من عبادة إلى عبادة، ومن سعادة إلى سعادة، وجزاء الحسـنة الحسنة بعدها، وهذا أمر من الأمور التربوية، فينبغي للعبد أن يُشغل نفسه دائماً بالطاعات، وألا يترك لنفسـه فرصـة لأن تعصي الله عز وجل، فإذا كـان العبـد مشـغولاً بطاعـة الله عز وجل فلن يكون محلاً للوساوس، وإذا غفـل القلب ساعة عن ذكر الله عز وجـل جثم عليـه الشـيطان، وأخـذ يعده ويمنيـه، فرمضـان تـدريب على الطاعـة ودخـول في عبــادة اللــه عــز وجــل، وتــدرب على أخلاق الصــالحين والمحسنين.
والصالحون عباد الله يقومون السنة كلها، كما قـال النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم: (عليكم بقيـام الليـل فإنـه دأب الصــالحين قبلكم، ومقربــة إلى ربكم، ومنهــاة عن الإثم، ومطردة للـداء عن الجسـد) فالصـالحون يقومـون السـنة كلهـا، ونحن نتـدرب في هـذا الشـهر الكـريم على أخلاق الصالحين، فنقوم شهراً كاملاً لعل الشهر ينسلخ وقد صرنا من الصالحين الذين يقومون طوال السنة، كمـا قـال اللـه عز وجل: {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْـلِ سَـاجِدًا وَقَائِمًـا يَحْـذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُـلْ هَـلْ يَسْـتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُـونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ} [الزمر:9].

وشهر رمضان -عباد الله- شهر اتصال بـالقرآن؛ لأن شـهر رمضـان لـه خصوصـية بـنزول القـرآن فيـه، قـال تعـالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَـاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ} [البقرة:185].
وكان السلف إذا دخل الشهر الكريم يتركون مجالسة أهل العلم ويقبلون على قراءة القرآن من المصحف.
وقال بعضهم: إنما هو إطعام الطعام وقراءة القرآن.
فالشهر له خصوصية بالقرآن، وكان النبي صلى الله عليـه وسلم يدارس جبريل القرآن كل ليلـة في رمضـان، وكـان يعارضه القرآن كل ليلة في رمضان.
فمن السنة عباد الله أن يتدارس المسلم القـرآن مـع من هو أحفظ وأتقن له منه، وأن يراجع محفوظه من القرآن.
وهو شهر الصدقة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريـل فيدارسه القرآن، وكان جبريل يلقاه كل ليلة في رمضـان، فلرسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم حين يلقـاه جبريـل أجود بالخير من الريح المرسلة، فكان أجود النـاس صـلى الله عليه وسلم، ومـع ذلـك يـزداد جـوده في هـذا الشـهر الكريم.
وكذلك هو شهر العمرة، كما قـال النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم: (عمـرة في رمضـان تعـدل حجـة)، (وعمـرة في رمضـان كحجـة معي) فـالعمرة في هـذا الشـهر الكـريم لشرف الزمان يبلغ أجرها أجر حجة مـع النـبي صـلى اللـه عليه وسلم؛ لأن العمل يشرف بشرف الزمـان أو بشـرف المكان.
وكذلك هو شهر الاعتكـاف، وكـان النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم يعتكف في العشر الأواخر من رمضان.
وهو شهر الدعاء والاستغفار، والتوبة والرجوع إلى الله عز وجل، وقد كثرت في هذا الشهر الكـريم أسـباب المغفـرة والرحمة، قال النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم: (من صـام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه).
وقال صـلى اللـه عليـه وسـلم: (ومن قـام رمضـان إيمانـاً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (رغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ ولم يُغفر له)؛ لكثرة أسباب المغفرة في هذا الشهر الكريم، فالشقي عباد الله من حُرم مغفرة الله عز وجل في هذا الشهر الكريم.
وكان السلف رضي الله عنهم يدعون الله عز وجل ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبله منهم، وكان من دعاء بعضهم: اللهم سلمني إلى رمضان، وتسلمه مني متقبلاً.
نسأل الله تعالى أن يتقبل منا صيامنا وقيامنا، وأن يوفقنا لطاعته، وأن يجعل خير أعمالنا خواتمها، وخير أيامنا يوم نلقاه.
أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.
وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.
سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.
(11/6)

مجالس رمضان_فقه التجارة مع الله
تجارة المرء في هذه الحياة إما تجارة دنيوية أو تجارة أخروية، فحري بالمسلم أن يقصد التجارة الأخروية مع من يملك خزائن السماوات والأرض، ومع من يعطي على الشيء القليل الأجر الكثير المضاعف، فخزائنه ملأى لا تغيضها النفقة ولا ينقصها شيء.
(12/1)

المسارعة إلى التجارة مع الله تعالى
الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

أما بعد: فإن مهر المحبة والجنة بذل النفس والمال لمالكهما الذي اشتراهما من المؤمنين، فما للجبان المعرض المفلس وسوم هذه السلعة؟ فوالله ما هزلت فيستامها المبطلون، ولا كسدت فيبيعها بالنسيئة المعسرون، لقد أقيمت للعرض في سوق لمن يريد، فلم يرض لها ربها بثمن دون بذل النفوس، فتأخر البطالون، وقام المحبون، ينتظرون أيهم يصلح أن تكون نفسه الثمن، فدارت السلعة في أيديهم، ووقعت في يد أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين.

لما كثر المدعون للمحبة، طولبوا بإقامة البينة على صحة الدعوى، فلو يعطى الناس بدعواهم، لادعى الخلي حرقة الشجي، فتنوع المدعون في الشهود، فقيل: لا تثبت هذه الدعوى إلا ببينة: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ} [آل عمران:31].

فتأخر الخلق كلهم، وثبت أتباع النبي صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله، فقيل: لا تقبل هذه البينة إلا بتزكية: {يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} [المائدة:54].

فتأخر الخلق كلهم، وثبت المجاهدون، فقيل: إن نفوس المجاهدين وأموالهم ليست لهم: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ} [التوبة: 111]، والعقد يوجب التسليم من الجانبين، لما رأى التجار عظمة المشتري وقدر الثمن، وجلالة قدر من وقع التبايع على يديه، علموا أن للسعلة قدراً وشأناً، فرأوا من الغبن الفاحش والخسران البين أن يبيعوها بثمن بخس دراهم معدودة، تذهب لذتها، وتبقى تبعتها، فعقدوا مع المشتري بيعة الرضوان، فقيل لهم: إن نفوسكم وأموالكم قد صارت إلينا، والآن فقد رددناها عليكم أوفر ما كانت وأضعاف أموالكم معها: {وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} [آل عمران:169].

فحي هلا إن كنت ذا همة فقد حدا بك حادي الشوق فاطو المراحلا.

وقل لمنادي حبهم ورضاهم إذا ما دعا لبيك ألفاً كواملا.

ولا تنظر الأطلال من دونهم فإن نظرت إلى الأطلال عدن حوائلا.
ولا تنتظر بالسير رفقة قاعد ودعه فإن الشوق يكفيك حاملا فما هي إلا ساعة ثم تنقضي ويصبح ذو الأحزان فرحان جاذلا لقد حرك الداعي إلى الله عز وجل وإلى دار السلام النفوس الأبية، وأسمع منادي الإيمان من كانت له أذناً واعية، وأسمع الله من كان حياً، فهزه السماع إلى دار الأبرار، وحدا به في طريق سيره، فما حطت رحاله إلا بدار القرار.
أرسل عبد الله بن المبارك -وكان مرابطاً بطرسوس- كتاباً إلى فضيل بن عياض الذي يلقب بعابد الحرمين يقول له: يا عابد الحرمين لو أبصرتنا لعلمت أنك بالعبادة تلعب.
من كان يخضب خده بدموعه فنحورنا بدمائنا تتخضب أو كان يتعب خيله في باطل فخيولنا يوم الصبيحة تتعب.
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا رهج السنابك والغبار الأطيب.
ولقد أتانا من مقال نبينا قول صحيح صادق لا يكذب.
لا يستوي غبار خيل الله في أنف امرئ وغبار نار تلهب.
هذا كتاب الله ينطق بيننا ليس الشهيد بميت لا يكذب.
فلما وصل الكتاب إلى فضيل بن عياض بكى، وقال: صدق أبو عبد الرحمن ونصح، ثم قال للرسول: أتكتب الحديث، قال: نعم، قال: فاكتب هذا الحديث كراء حملك كتاب أبي عبد الرحمن إلينا، ثم أملاه بسنده رواية لحديث أبي هريرة: (أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: دلني على عمل يعدل الجهاد، قال: لا أجده، قال: هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر، وتصوم ولا تفطر؟ قال: ومن يستطيع ذلك؟ قال أبو هريرة: إن فرس المجاهد ليستن في طوله -أي: يحرك قدميه في موضع ربطه- فيكتب للمجاهد حسنات).
فأعلى تجارة وأغلى تجارة هي التجارة ببذل النفس والمال لله عز وجل، تجارة بالجهاد في سبيل الله عز وجل، وكل معاملة شرعية مع الله عز وجل وكل عبادة لله عز وجل فهي تجارة، كما قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ

كِتَـابَ اللَّهِ وَأَقَـامُوا الصَّـلاةَ وَأَنْفَقُـوا مِمَّا رَزَقْنَـاهُمْ سِـرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ} [فاطر:29].
فكل عبادة لله عز وجـل فهي تجـارة مـع اللـه عـز وجـل، وكل تجارة مع اللـه عـز وجـل لا يمكن أن تبـور بحـال من الأحوال، والدنيا -عباد الله- سوق والناس كلهم تجار، قـال النبي صلى الله عليه وسلم: (الدنيا سـوق قـام ثم انفض، ربح فيه من ربح، وخسر من خسر، كل الناس يغـدو فبـائع نفسه فمعتقها أو موبقها).
(يغدو) أي: يخرج غدوة أو في أول
(12/2)

_____

الفرق بين التجارة مع الله عز وجل والتجارة مع غيره
التجارة مع الله عز وجل نوع خاص من التجـارات، تفـترق عن سـائر التجـارات في الـدنيا؛ لأنهـا معاملـة بين العبـد الفقير الضعيف المحتاج والرب الغني القادر القاهر.
فكل أحد من الناس يريد أن يعامل غيره من أجل أن يربح منه، فهي معاملة بين فقير وفقـير، وبين محتـاج ومحتـاج، فكل الناس يريدك لنفسه، والله عز وجل يريدك لـك؛ لأن الله تعالى غني عنـك وعن طاعتـك وعن عبادتـك: (لـو أن الخلق كلهم على أتقى قلب رجل واحد منهم، ما زاد ذلـك في ملك الله عز وجـل شـيئاً، ولـو كـانوا على أفجـر قلب رجلٍ واحد منهم، مـا نقص ذلـك من ملـك اللـه عـز وجـل شيئاً).
فالله عز وجل يريد منا أن نعاملـه من أجـل أن نـربح نحن أعظم الأرباح، والله غني عنا وعن طاعتنا وعن عبادتنا.
الفرق الثاني بين تجارة الدنيا والتجارة مع الله عـز وجـل: أن تجارة الدنيا عرضـة للمكسـب والخسـارة، قـد تكسـب مرة وتخسـر مـرة، أو تكسـب مـرات، وتخسـر مـرة، أمـا التجـارة مـع اللـه عـز وجـل فلا تبـور بحـال من الأحـوال، وليس هناك احتمال للخسارة بحال من الأحوال: {يَرْجُـونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ} [فاطر:29].
يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (ما من غازية تغزو في سبيل الله فيصـيبون الغنيمـة إلا تعجلـوا ثلـثي أجـرهم في

الــدنيا، فــإن لم يصــيبوا الغنيمــة تم لهم أجــرهم)؛ لأن المجاهد ينتظر ثلاثـة: ينتظـر الثـواب في الآخـرة، وفرحـة النصر، والغنائم، فإن انتصر نال فرحة النصر، ونـال حظـه من الغنـائم، ويبقى أجـر الآخـرة، وإن لم ينتصـر فيتم لـه أجره في الآخرة.
فهكذا التجارة مع الله عز وجل لا تبور بحال من الأحوال.
الفـرق الثـالث بين تجـارات الـدنيا والتجـارة مـع اللـه: أن تجارة الدنيا الأرباح فيها محدودة، والسلع قـد تـربح فيـه (10%) أو (20%) غايـــة الأمـــر (100%) أو (200%)، فالدرهم يربح درهمـاً أو درهمين، ولكن لا يمكن أن توجـد تجارة في الدنيا الدرهم فيها يربح سبعمائة درهم، لا يمكن أن توجد مثل هذه التجارة، ولكن تجارة الآخـرة يقـول عـز وجل فيهـا: {مَثَـلُ الَّذِينَ يُنفِقُـونَ أَمْـوَالَهُمْ فِي سَـبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ} [البقرة:261].
إذاً: فيها أرباح عظيمة جداً.
الفرق الخامس: أن تجـارة الـدنيا قـد يـدخلها الغش، وقـد تكون هناك سلعة معيبة ويدلسـها صـاحبها ويخفي مـا بهـا من عيب ويروجها فتروج.
أما التجارة مـع اللـه عـز وجـل لا يمكن أن يـدخلها الغش؛ لأن الله عـز وجـل بصـير خبـير عليم، فلا يمكن أن يـدخل التجارة مع الله عز وجل الغش.
التجارة مع الله عز وجل نوع خاص من التجارات.
(12/3)

_____

نماذج من فقه التجارة مع الله عز وجل
وأكثر الناس يعـرف كيـف يتـاجر في الـدنيا، ولكن القليـل منهم من يعرف كيف يتاجر مع الله عـز وجـل، فنحتـاج أن نتعرف على فقه التجارة مع الله عز وجل.
فمن فقه التجارة مع اللـه عـز وجـل أن يستصـحب العبـد الإخلاص في كـل قـول وعمـل؛ لأن اللـه تعـالى اشـترط الإخلاص، فقال: {أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ} [الزمر:3].

وقال: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} [البينة: 5].
وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً، وابتغي به وجهه).
فينبغي أن نستصحب الإخلاص في كل عبادة، وفي كل قول وعمل.
ومن فقه التجارة مع الله عز وجل: أن يتاجر العبد بالمباحات مع الله عز وجل؛ لأن العمل المباح لو توافرت فيه نية صالحة فإنه يصير من الطاعات، ومن القربات، فلو نام العبد بنية صالحة من أجل أن يقوم من آخر الليل، أو يقوم لصلاة الفجر وأذكار الصباح، فإنه يؤجر على ذلك، كما قال معاذ: إني لأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي.
فالطالب يذاكر من أجل أن يرضي والديه، ومن أجل أن ترتفع رتبته ووجاهته في الدنيا، ومن أجل أن تقبل دعوته ونصيحته.
فالذي يسعى للمعاش يسعى من أجل أن يكفي نفسه وأولاده ذل السؤال، ومن أجل أن يقوم بالواجب عليه من النفقة على زوجته وأولاده، فكل عمل مباح يستطيع العبد أن يستحضر فيه نية صالحة، فيصير من القربات والطاعات، فيتاجر العبد بالمباحات مع الله عز وجل.
كذلك أن يستحضر العبد في العمل الواحد نيات كثيرة صالحة لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى).
فقوله صلى الله عليه وسلم: (إنما الأعمال بالنيات) أي: أصل قبول العمل بتوافر النية الصالحة، ثم قال: (وإنما لكل امرئ ما نوى).
وكما يقولون: الأصل في الشرع التأسيس، يعني: أن يؤسس قواعد جديدة، فليس قوله: (إنما لكل امرئ ما نوى) تكرار للقاعدة الأولى، ولكنها تأسيس لقاعدة جديدة، وهي أن ثواب العامل على عمله بمقدار ثواب النيات التي يجمعها العامل في هذا العمل: (وإنما لكل

امرئ ما نوى) فيجمع العبد في العمل الواحد نيات كثيرة صالحة.
ومن فقه التجارة مع الله عز وجل: أن يتأكد العبد أن أعماله وأقواله مطابقة لسنة النبي صلى الله عليه وسلم، لقوله صلى الله عليه وسلم: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد).
فكل عمل لا يندرج تحت شريعة النبي صلى الله عليه وسلم، ولا تكون سنة النبي صلى الله عليه وسلم حاكمة عليه بالصحة فهو مردود على صاحبه، وغير مقبول، فيشترط أن يكون العمل مطابقاً للسنة.
ومن فقه التجارة مع الله عز وجل: أن يجتهد العبد في أن يكون العمل سراً بينه وبين الله عز وجل، فإن هذا أدعى لحفظ العمل وأدعى لقبول العمل.
فهناك أعمال لا بد أن تظهر، كالدعوة إلى الله عز وجل، وإمامة الناس، والخروج للحج والعمرة، ولكن قد يصلي العبد ركعات في جوف الليل، كما قال بعضهم: صلوا ركعتين في ظلمة الليل لظلمة القبور، وصوموا يوماً شديداً حره لحر يوم النشور، وتصدقوا بصدقة لشر يوم عسير قد يتصدق العبد بصدقة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح رواه مسلم: (حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه)، فهو يخفي هذه الصدقة.
وكان السلف يجتهدون في إخفاء أعمالهم الصالحة، كما نجتهد نحن في إخفاء أعمالنا السيئة.
فيروى أن رجلاً من السلف صام سنة كاملة ولم تعلم زوجته في بيته، فهو يخفي العمل عن أقرب الناس إليه، فقد كان يخرج بطعام إفطاره فيتصدق به، ثم يذهب إلى دكانه حتى غروب الشمس، ويعود فيفطر في بيته.
وكان الواحد منهم إذا كان يقرأ في المصحف ودخل عليه داخل غطاه.
وكان الواحد منهم يختم القرآن حفظاً ولا يعلم به جاره، فكانوا يجتهدون في إخفاء الأعمال الصالحة.
ومن فقه التجارة مع الله عز وجل: أن يحفظ العبد أعماله الصالحة، فالعبد قد يعمل عملاً صالحاً موافقاً للسنة

تتوافر فيه شروط الصحة، ثم يمن بهـذا العمـل، أو يـؤذي من أدى إليه خدمة ويمن عليه، أو يصاب بشيء من الكـبر أو العجب أو الريـاء فيحبـط بـذلك عملـه الصـالح، واللـه تعالى يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى} [البقرة:264].
فالمسـلم ينبغي عليـه أن يجتهـد في أن يحفـظ أعمالـه الصالحة من محبطات الأعمال، حتى يجد ثواب هذا العمل مذكوراً موفوراً عند الله عز وجل يوم القيامة.
ومن فقه التجارة مع الله عز وجـل: أن يـداوم العبـد على العمـل الصـالح، كمـا كـان النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم يقول: (أحب العمل إلى الله أدومـه وإن قـل)؛ لأن العمـل الدائم وإن كان قليلاً، فإنه يصير كثيراً بالمداومة عليه، بـل يربو، ويكون أكثر من الكثير المنقطـع، واللـه تعـالى يحب أن يديم فضله وأن يوالي إحسانه، فيحب الله عز وج
(12/4)

_____

مجالس رمضان_قيام رمضان
قيام الليل شرف المؤمن، حث الله عبـاده عليـه ليتقربـوا به إليه سبحانه، ويستعينوا به على مـا يـواجههم في سـائر حياتهم، وقد عظم الله شأن أهله، وضاعف أجورهم، ورفع مـنزلتهم، وحث على الاقتـداء بهم، ويتأكـد القيـام ويعظم أجره في الأوقات المباركة، كشهر رمضان، والثلث الأخـير من الليل، فينبغي للمـؤمن اغتنـام هـذه الأوقـات والـتزود منها.
(13/1)

_____

فضل صيام شهر رمضان وقيامه
الحمـد للـه الـذي رضـي من عبـادهِ باليسـير من العمـل، وتجاوز لهم عن الكثيرِ من الزلـل، وأفـاض عليهم النعمـة، وكتب على نفسه الرحمة، وضـمن الكتـاب الـذي كتبـه أن رحمته سبقت غضـبه، دعـا عبـادهِ إلى دار السـلام فعمهم بالدعوة حجة منه عليهم وعـدلاً، وخص بالهدايـة والتوفيـق من شاء نعمة ومنة وفضلاً، فهذا عدله وحكمته وهو العزيز

الحكيم، وذلـك فضـله يؤتيـه من يشـاء واللـه ذو الفضـل العظيم، وأشـهد أن لا إلـه إلا اللـه وحـده لا شـريك لـه، شهادة عبده وابن عبده وابن أمته ومن لا غـنى بـه طرفـة عين عن فضله ورحمتـه، ولا مطمـع لـه في الفـوز بالجنـة والنجاة من النـار إلا بعفـوه ومغفرتـه، وأشـهد أن محمـداً عبـده ورسـوله وصـفيه وخليلـه، أرسـله رحمـة للعـالمين، وقـدوة للعـاملين، ومحجـة للسـالكين، وحجـة على العبـاد أجمعين، ترك أمته على الواضحة الغراء والمحجة البيضاء، فسلك أصحابه وأتباعه على أثره إلى جنات النعيم، وعـدل الراغبون عن هديه إلى صراط الجحيم، {لِيَهْلِـكَ مَنْ هَلَـكَ عَنْ بَيِّنَـةٍ وَيَحْيَـا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَـةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَـمِيعٌ عَلِيمٌ} [الأنفال:42]، فصلى الله وملائكته وجميع عباده المؤمنين عليه كما وحد الله عز وجل وعرفنـا بـه ودعـا إليـه وسـلم تسليماً.

أمـا بعـد: عبـاد اللـه! شـهر رمضـان ليس شـهر الصـيام فحسب، ولكنه شهر الصيام والقيام، قال النبي صلى اللـه عليه وسلم: (من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر لـه مـا تقدم من ذنبه، ومن قام رمضان إيماناً واحتسـاباً غفـر لـه ما تقدم من ذنبه).

وقال صلى الله عليه وسـلم: (من قـام ليلـة القـدر إيمانـاً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه).

مشروعية قيام رمضان

لقد رغب النبي صلى الله عليـه وسـلم في قيـام رمضـان كما رغب في صيامه، وصلى النبي صلى الله عليـه وسـلم بالصحابة الكرام غير ليلة، فقد صـلى ليلـة فصـلى بصـلاته ناس، ثم صلى في الليل التالية فصلى بصلاته نـاس، فلمـا كانت الليلة الثالثة أو الرابعة ضـاق المسـجد بأهلـه فـترك النبي صلى الله عليه وسـلم الخـروج إليهم وقـال: (صـلوا أيها الناس! في بيوتكم)؛ لأن النبي صلى الله عليـه وسـلم خشـي أن يفـرض على النـاس قيـام رمضـان، أو يشـترط

لصحة القيـام أن يكـون في المسـجد، فقـال: (صـلوا أيهـا الناس! في بيوتكم)ـ
فلما كانت الدولة العمرية خرج عمر رضي الله عنه فـرأى الرجـل يصـلي لنفسـه، والرجـل يصـلي فيصـلي بصـلاته الرجل، والرجل يصلي فيصلي بصـلاته الرهـط، فقـال: لـو جمعتهم على قارئ واحد لكان أعجب.
فجمعهم على أبي بن كعب وتميم الـداري، فكـان أبي بن كعب وتميم الداري يتناوبـان القيـام بالصـحابة الكـرام في الدولة العمرية.
وقال عمر: نعمت البدعة هذه، والتي ينامون عنها أفضل.
ولم يقصد عمر رضي الله عنـه البدعـة من حيث الشـرع، ولكن أراد البدعة اللغوية، وإلا فقيـام الليـل في المسـاجد في رمضـان من السـنة؛ لـترغيب النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم في قيام رمضـان، ولصـلاته بالصـحابة الكـرام غـير ليلة، ولكنه ترك الخروج إلى الناس؛ لأن الزمن كـان زمن تشريع، فلما زالت هذه الخشية جمع عمر رضي اللـه عنـه الصـحابة على قـارئ واحـد في المسـجد، وأقـره بقيـة الصحابة على ذلك، وعلى ذلك استمر عمل الأمة.
ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم دلنا على سـنة الخلفـاء الراشدين فقال: (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشـدين من بعدي عضوا عليها بالنواجـذ)ـ فسـنة عمـر رضـي اللـه عنه من سنته صلى اللـه عليـه وسـلم، لأنـه قـال: (عضـوا عليها)، ولم يقل: عليهما، لأنهم كـانوا أعلم النـاس بالسـنة وأحرص الناس عليها وعلى اتباعها.
فمن السنة قيام رمضان واجتماع النـاس على القيـام في المساجد بعد صلاة العشـاء، ونحن نتـدرب بقيـام رمضـان على هذه العبادة التي هي من أجـل العبـادات، وهي قيـام الليل.
(13/3)

فضل قيام الليل

قال النبي صلى الله عليه وسلم: (عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم ومقربـة إلى ربكم ومنهـاة عن الإثم ومطردة للداء عن الجسد).
وقال صـلى اللـه عليـه وسـلم فيمـا رواه مسـلم: (أفضـل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل).
ووصف الله عز وجل المؤمن فقال: {أَمَّنْ هُـوَ قَـانِتٌ آنَـاءَ اللَّيْـلِ سَـاجِدًا وَقَائِمًـا يَحْـذَرُ الآخِـرَةَ وَيَرْجُـوا رَحْمَـةَ رَبِّهِ} [الزمر:9].
وقال عز وجـل: {تَتَجَـافَى جُنُـوبُهُمْ عَنِ الْمَضَـاجِعِ يَـدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُـونَ * فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَـا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُـرَّةِ أَعْيُنٍ جَـزَاءً بِمَـا كَـانُوا يَعْمَلُـونَ} [السجدة:17].
فعندما هدأت الأصوات وسكنت الحركات قاموا لربهم عـز وجل يتملقونه ويدعونـه رغبـاً ورهبـاً، فكمـا أخفـوا العمـل واستتروا بظلمة الليل عند ذلك أخفى اللـه عـز وجـل لهم الثواب، {فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [السجدة:17].
وقـال عـز وجـل في وصـف المحسـنين: {كَـانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} [الـذاريات: 17 - 18].
{كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْـلِ مَـا يَهْجَعُـونَ} [الـذاريات:17]، أي: ينامون، قال بعض السلف: ما مرت عليهم ليلة إلا وأخـذوا منها شيئاً.
وقال بعضهم: ما ناموا ليلة حتى الصباح، بل لهم حـظ من قيام الليل.
فهذا وصف المتقين ووصف المحسنين في كتاب الله عــز وجل.
إذا ما الليل أقبـل كابـدوه فيسـفر عنهم وهم ركـوع أطـار الخوف نومهم فقـاموا وأهـل الأمن في الـدنيا هجـوع منـع القران بوعده ووعيده مقل العيـون بليلهـا لا تهجـع فهمـوا عن الملك الجليل كلامه فهماً تذل له الرقاب وتخضع

صفة الصحابة في القيام
وصف علي رضي الله عنه الصحابة الكرام فقال: رأيت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أر اليوم شيئاً يشبههم، كانوا يصبحون شعثاً صفراً غبراً بين أعينهم أمثال ركب المعزى، قد باتوا سجداً وقياماً، يراوحون بين جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا تمادوا كما يميد الشجر يوم الريح وهملت أعينهم بالدموع، فوالله لكأني بالقوم باتوا غافلين.
وقال الحسن: أدركت أقواماً وخالطت طوائف ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا أقبل، ولا يأسفون على شيء منها أدبر، ولهي كانت في أعينهم أهون من التراب، ولقد كان الواحد منهم يعيش خمسين سنة أو ستين سنة لم يطو له ثوب ولم يوضع بينه وبين الأرض شيء، ولا أمر من في بيته بصنعة طعام قط، فإذا كان الليل فقيام على أقدامهم يراوحون بين جباههم وأقدامهم، فو الله ما سلموا من الذنوب، ولولا مغفرة الله ما نجوا، فرحمة الله عليهم ورضوانه.
(13/5)

_____

هدي النبي صلى الله عليه وسلم في قيام الليل
كان من هدي النبي صلى الله عليه وسلم في قيام الليل أنه لا يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة.
وفي الحديث الآخر: (ثلاث عشرة ركعة).
وقال بعضهم: ثلاث عشرة بضم سنة العشاء أو ركعتي الفجر؛ لأن كل صلاة بعد صلاة العشاء من قيام الليل.
وكان يفتتح القيام بركعتين خفيفتين.
وقيل: إن الحكمة في هاتين الركعتين فك عقد الشيطان، كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: (يعقد الشيطان على قافية أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب على مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد، فإذا استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإذا توضأ انحلت عقدة، فإذا صلى انحلت عقدة، فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا

أصبح خبيث النفس كسلان)، فكأن افتتاح صلاة الليل بركعتين خفيفتين من أجل فك عقد الشيطان.
وفي حديث عائشة رضي الله عنها: (أنه كان يصلي أربع ركعات فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثاً)، فهذا كان هديه صلى الله عليه وسلم في قيام الليل.
وكان يقوم كما أمره الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا} [المزمل:1 -ـ 4] فكان يصلي إلى نصف الليل أو أكثر قليلاً أو أقل قليلاً، أو ما بين ثلث الليل إلى نصف الليل، وقد دل الأمة على أحب القيام إلى الله عز وجل وعلى أحب الصيام إلى الله عز وجل، فقال: (أحب القيام إلى الله عز وجل قيام داود عليه السلام، وأحب الصيام إلى الله عز وجل صيام داود عليه السلام، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً)، فداود كان يجم نفسه أي: يريح نفسه بنوم طويل في نصف الليل الأول، ثم يقوم في النصف الأخير من الليل، وهو وقت النزول الإلهي والإذن العام، ففيه ينزل ربنا عز وجل ويقول: (هل من سائل فأعطيه؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟)؟ ولا شك أن النبي صلى الله عليه وسلم هو أولى الخلق بكل فضيلة، فكان من شأنه صلى الله عليه وسلم أن يقوم ثلث الليل تقريباً، وكان يقوم في الثلث الأخير من الليل، وثبت عنه أنه قام في أول الليل وفي وسطه وفي آخره، ولكن كان أكثر عادته صلى الله عليه وسلم أن يقوم في الثلث الأخير من الليل أو بعد منتصف الليل.
وتقول السيدة عائشة رضي الله عنها: (ما ألفاه عندي إلا قائماً)، وهذا القيام أحب القيام إلى الله، فكان يقوم في هذا الوقت ثم ينام سدس الليل الأخير، أي: قبل صلاة الفجر؛ ليذهب بهذا النوم اصفرار الوجه وذبول العينين وأثر السهر، ولكون هذا أقرب إلى الإخلاص وأبعد عن الرياء، فإذا خرج لصلاة الفجر فكأنه نائم طوال الليل.

فأما من يخرج من قيام الليل إلى صلاة الفجر فإنه يظهـر عليه أثر السهر، فهذا أحب القيام إلى الله عز وجل، وهـو قيام داود عليه السلام.
وكان من هديه صلى الله عليه وسلم طول القيـام، يقـول حذيفة رضي الله عنه: (صليت ليلة خلف النبي صلى اللـه عليه وآله وسلم فافتتح سـورة البقـرة، فقلت: يركـع عنـد المائة، فمضى، فقلت: يركع عند المائتين فمضـى، فقلت: يركع بها، فافتتح النساء ثم قرأ آل عمران لا يمر بآية فيهـا تسبيح إلا سبح، ولا فيها سؤال إلا سأل)، فهـذا كـان هديـه صلى الله عليه وسلم.
ويقول ابن مسـعود رضـي اللـه عنـه: (صـليت ليلـة خلـف النبي صلى الله عليه وسـلم فلم يـزل قائمـاً حـتى هممت بأمر سوء)، فكان من هديه صلى اللـه عليـه وسـلم طـول القيام.
(13/6)

_____
الأسباب المعينة على قيام الليل
هناك أسـباب ميسـرة لقيـام الليـل، وهي نوعـان: أسـباب ظاهرة وأسباب باطنة.
(13/7)

_____
الأسباب الظاهرة المعينة على قيام الليل
فمن الأسـباب الظـاهرة الميسـرة لقيـام الليـل: أن يـترك العبـد المعاصـي بالنهـار، قيـل لبعض السـلف: لا نسـتطيع قيام الليل، قال: أبعدتكم الذنوب.
وقال سفيان الثوري: منعت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أصبته.
وكـان الحسـن البصـري إذا دخـل السـوق فسـمع لغـوهم ولغطهم يقول: ما أرى ليل هؤلاء إلا ليل سوء.
فمن كان نهاره في طاعة الله عز وجل فهو بالليل أقــرب إلى رحمة الله عز وجل، ومن كـان في المعاصـي بالنهـار فهو أبعد عن القيـام بين يـدي العزيـز الغفـار، والملـوك لا

يسـمحون بـالخلوة بهم ومناجـاتهم إلا أهـل الإخلاص في معاملتهم وفي طاعتهم.
والله عز وجل لا يسمح لكل أحد ولا يوفق كل أحد للقيـام بين يديه بالليل، فينبغي على العبد أن يترك الذنوب بالنهار حتى يوفق لقيام الليل.
ومن ذلك: عدم الإكثار من الطعـام خاصـة وجبـة العشـاء؛ من أجل أن يخف لقيام الليل.
ومن ذلك: أن يستعين بالقيلولة، فقد كان النبي صلى الله عليه وسـلم يقيـل قبـل صـلاة الظهـر، وكـان يـبرد بصـلاة الظهر غالباً؛ أي: يؤخر صلاة الظهر إلى ثلث الـوقت حـتى تنكسر شـدة الحـر، ويقيـل قبـل صـلاة الظهـر، فيسـتعين بالقيلولة على قيام الليل.
ومن الأسباب الظاهرة كذلك التي تعين على قيـام الليـل: النوم مبكراً من أجل أن يوفق للقيام.
(13/8)

_____

الأسباب الباطنة المعينة على قيام الليل
وأما الأسباب الباطنة فمن ذلك: معرفة الآيات والأحــاديث في فضيلة قيام الليل.
ومن ذلك: خوف يغلب على قلب العبد فيجعله يقوم الليل يدعو الله عز وجل ويصلي له عز وجل.
ومن ذلك: الشوق إلى الله عز وجل ومحبته عز وجل، كما قال بعضهم: عالجت قيام الليل سنة فتمتعت بـه عشـرين سنة.
فأهل الإحسان والطاعة والعبادة يخـف عليهم القيـام، أمـا من لم يكن من أهل الإحسان فيشق عليه القيــام، فينبغي عليه أن يجبر نفسـه على القيـام فـترة حـتى يـذوق حلاوة الطاعة والعبادة، ثم بعد ذلك تساعد النفس صــاحبها على الطاعة والعبادة، ويوفق لطاعة الله عز وجل وعبادته عــز وجل.
نسـأل اللـه تعـالى أن يتقبـل منـا الصـيام والقيـام وتلاوة القرآن، وأن ينفعنا بصالح الأعمال.

أقول قـولي هـذا وأسـتغفر اللـه لي ولكم، سـبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله أنت، أستغفرك وأتوب إليك.
(13/9)

_____

مجالس رمضان_قيمة الزمن
الـوقت من أعظم نعم اللـه على عبـده، فينبغي اسـتغلاله في طاعة الله والتزود للقائه، فبالاجتهاد في الأوقـات فـاز المجــدون، وســبقوا إلى رضــوان اللــه وجنــات النعيم، وبتضييع الأوقات خسر المبطلـون واللاهـون، وتـأخروا في السباق، وفاتهم الركب.
(14/1)

_____

أهمية الوقت وأدلته من الكتاب والسنة
الحمد لله نحمـده ونسـتعينه ونسـتغفره، ونعـوذ باللـه من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسـوله، صـلى اللـه عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.
ثم أمــا بعــد: فــإن نعمــة العمــر والأوقــات واللحظــات والأنفاس يغفل عن قيمتها كثير من النـاس، وبمـا أننـا في زمن طيب مبــارك فينبغي لنــا أن نعــرف قيمــة الــزمن والـوقت والعمـر؛ لأن أكـثر النـاس لا يعـرف قيمـة عمـره ووقته وساعاته وأنفاسه.
قال الله عز وجل: {وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُمْ مِنْ كُــلِّ مَــا سَــأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُــدُّوا نِعْمَــةَ اللَّهِ لا تُحْصُــوهَا} [إبراهيم:33 -ـ 34]، فتسخير سـاعات الليـل والنهـار من أجــل أن نملأ هــذه الســاعات بالطاعــات، ومن أجــل أن نسابق الأوقات بالطاعات نعمة من الله عز وجل.
وقال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا} [الفرقان:62].
قال بعض السلف: من فاته طاعـة اللـه عـز وجـل بالنهـار كان له من أول الليل مستعتب، ومن فاته طاعة اللـه عـز وجل بالليل كان له من أول النهار مستعتب.

والله عز وجل أقسم بالفجر وأقسم بالعصر وأقسم بالضحى وأقسم بالليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى، والله تعالى يقسم بما شاء من خلقه؛ من أجل أن يلفت أنظارنا إلى خطر المقسوم به، والعبد لا يجوز له أن يحلف بغير الله (ومن حلف بغير الله فقد كفر أو أشر).
قال الله عز وجل: {وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ} [الفجر:1 - 3].
{وَالْفَجْرِ} [الفجر:1] هنا هو فجر يوم النحر، {وَلَيَالٍ عَشْرٍ} [الفجر:2] هي العشر الأول من شهر ذي الحجة، {وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ} [الفجر:3] الشفع: هو يوم النحر، والوتر: هو يوم عرفة.
وقال عز وجل: {وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} [العصر:1 - 3].
وقال عز وجل {وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى} [الضحى:1 - 3].
وقال عز وجل: {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى} [الليل:1 - 3].
فالله تعالى أقسم بالزمن وبالوقت وبالعصر وبالضحى وبالفجر وبالليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى من أجل أن يبين لنا قيمة الزمن وقيمة العمر.
كما دلت الأحاديث النبوية الشريفة على ما دلت عليه هذه الآيات القرآنية الكريمة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ).
والمغبون هو: الذي باع شيئاً بأقل من ثمنه، أو اشترى شيئاً بأكثر من ثمنه، فمن باع سيارة مثلاً تساوي عشرة آلاف بخمسة آلاف فهو مغبون؛ لأنه أضاع حظه، وكذلك من اشترى سيارة تساوي خمسة آلاف بعشرة آلاف فهو أيضاً مغبون.
فأكثر الناس مغبون في شيئين: في الصحة والفراغ؛ لأنهم لم يعرفوا قيمتها.

ويوم القيامة هو يـوم التغـابن؛ لكـثرة المغبـونين في هـذا اليوم، ولم يكن الغبن في يوم القيامة، ولكن يظهر مقـدار الغبن وعـدد المغبـونين يـوم القيامـة، فمن أسـماء يـوم القيامة أنه يوم التغابن.
فالزمن نعمة من الله عز وجل.
(14/2)

_____

الأمور الدالة على أهمية استغلال الوقت
دل على خطر الوقت والنَّفَس ثلاثة أمور: الأمر الأول: أنـه لو تاجر العبد مع ربه عز وجـل في كـل نفس من أنفاسـه لربح على الله عز وجل أعظم الأربـاح، قـال النـبي صـلى الله عليه وسلم: (اقرءوا القرآن فإنكم تؤجرون عليه، أمـا إني لا أقول: ألـف لام ميم حـرف، ولكن ألـف عشـر ولام عشر وميم عشر).
وقـال صـلى اللـه عليـه وسـلم: (من قـال: سـبحان اللـه العظيم وبحمده غرست لـه بهـا نخلـة في الجنـة)، وقـال: (من قـرأ {قُـلْ هُـوَ اللَّهُ أَحَـدٌ} [الإخلاص:1] حـتى يختمهـا عشر مرات بني له قصر في الجنة).
فكل نفس جوهرة لو تاجر به العبد مع الله عز وجل.
الأمر الثـاني الـذي يـدل على خطـر الـوقت والأنفـاس أن الأنفاس التي قدرها الله عز وجـل لنـا عـددها مغيب عنـا، كما قال الحسـن البصـري: المبـادرة المبـادرة! فإنمـا هي الأنفاس لو حبست انقطعت عنكم أعمالكم التي تتقربـون بها إلى الله عز وجل، رحم اللـه امـرأ نظـر في نفسـه ثم بكى على عدد ذنوبه، ثم قرأ: {إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا} [مـريم: 84].
آخر العدد خروج نفسك، آخر العدد فراق أهلك، آخر العدد دخولك في قبرك.
فقوله: {إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا} [مريم:84] يعني: الأنفاس.
أي: إن الله عز وجل قدر لكل عبـد فينـا عـدداً محـدداً من الأنفاس، فكلما تنفس نفساً سجل عليه هذا النفس، فيعـد لكل واحد منا عد تنازلياً، كحال كل المشروعات العظيمـة يحدد يوم للافتتاح، فكلما مضى يـوم يقولـون: بقي تسـعة

وعشرون يوماً، بقي ثمانية وعشرون يومـاًن وهكـذا حـتى يصل إلى يوم الافتتاح.
ونحن أيضاً كل إنسان فينا لـه عـدد محـدد مقـدر في علم اللـه عـز وجـل، والملائكـة تسـجل عليـه الأنفـاس الـتي يتنفسـها حـتى يصـل إلى آخـر العـدد، وعنـد ذلـك خـروج النفس وفراق الأهل ودخول القبر.
فكون الأنفاس التي قدرها الله عز وجل لنـا عـددها مغيب عنا مما يدل على خطر الأوقات والأنفاس.
والعبد إذاكان ماله بالمليارات فإنه لو أنفق الآلاف لا يــؤثر كثـيراً في رأس مالـه، بخلاف من مالـه بـالآلاف، فإنـه لـو أنفق الآلاف لأثر ذلك في رأس ماله، ونحن لا ندري مقدار رأس المال، فتضييع الأوقات في غـير الطاعـات مخـاطرة خاصة أننا لا ندري مقدار الباقي من أنفاسنا.
الأمر الثالث: أن كل نفس ينفق في غـير طاعـة اللـه عـز وجل قد يكون آخر الأنفاس.
يا من بدنياه انشغل وغره طول الأمـل المـوت يـأتي بغتـة والقبر صندوق العمل فأي نفس ينفق في غير طاعة اللــه عز وجل قد يكون آخر الأنفـاس، والعـبرة بـالخواتيم، كمـا قــال النــبي صــلى اللــه عليــه وســلم: (إنمــا الأعمــال بالخواتيم)، أي: إن عاقبة العبد تتعلـق بخاتمتـه، فمن ختم له بعمل من أعمال أهل الجنة دخـل الجنـة، ومن ختم لـه بعمل من أعمال أهل النار دخل النار والعياذ بالله.
فالأعمال بالخواتيم.
كم من وجوه خاشعة وقـع على قصـص أعمالهـا! {عَامِلَـةٌ نَاصِبَةٌ} [الغاشية:3]، كم من قارب مركبـه سـاحل النجـاة فلما هم أن يرتقي لعب به الموج فغرق! كـل العبـاد تحت هذا الخطر، (قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الــرحمن يقلبها كيف يشـاء)، وليس العجب ممن هلـك كيـف هلـك، إنما العجب ممن نجا كيف نجا.
يقول النبي صلى الله عليه وسـلم: (فوالـذي نفسـي بيـده إن أحدكم ليعمـل بعمـل أهـل الجنـة حـتى مـا يكـون بينـه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها).

من قصص السلف في المحافظة على أوقاتهم

كان السلف رضي الله عنهم أحرص الناس على أوقـاتهم، وكانوا يبخلـون بـالوقت والنفس أن ينفـق في غـير طاعـة الله عز وجل، وكانوا أشد بخلاً بذلك من أشـد النـاس بخلاً بماله.

وكانوا يعدون خصال الخير ويبكون على أنفسهم إن فاتهم شيء منها.

دخـل بعضـهم على عابـد مـريض فنظـر إلى قدميـه وبكى وقال: ما اغبرتا في سبيل الله.

وقال أحدهم: أعد ثلاثين خصلة من خصال الخير ليس في شيء منها.

وقـال بعضـهم لأحـد العلمـاء: قـف أكلمـك، فقـال: أوقـف الشمس، أوقف الشمس.

وكان أحد العلماء إذا زاره النـاس وجلسـوا عنـده وأطـالوا الجلوس قال: أما تريدون أن تقوموا؟! إن ملـك الشـمس يجرها لا يفتر.

فكانوا يجتهدون في طاعة الله عز وجل ولا يفوتـون وقتـاً بغير طاعة، فملئوا حياتهم عبادة وطاعة لله عز وجل، بـل وتمنوا لو أنهم واصلوا العبادة بعد الموت، كمـا كـان ثـابت البناني يقول: يـا رب! إن أذنت لأحـد أن يصـلي في قـبره فأذن لي.

وكان يزيد الرقاشي يبكي ويقول: يـا يزيـد! من يبكي بعـد لك، من يترضى ربك عنك.

ودخلوا على الجنيد وكان يصلي وكان في النزع فقالوا له: الآن! قال: الآن تطوى صحيفتي.

ودخلـوا على أبي بكـر النهشـلي وكـان صـائماً وكـان في النزع فقالوا له: اشرب قليلاً من الماء، فقال: حتى تغـرب الشمس.

وبكى أحـد الصـالحين عنـد موتـه فسـئل عن سـبب بكائـه فقال: أبكي لأن يصـوم الصـائمون ولسـت فيهم، ويصـلي المصلون ولست فيهم.

فهو يبكي لأنه يفارق الـدنيا فيصـوم الصـائمون وليس هـو فيهم، ويصلي المصلون وليس هـو فيهم، ونحن واللـه في الـدنيا يصـوم الصـائمون ولسـنا فيهم، ويصـلي المصـلون ولسنا فيهم.
فأين وصفنا من هذه الأوصاف؟ وأين شـجرة الزيتـون من شجر الصفصاف؟ لقد قام القوم وقعدنا، وجدوا في الجـد وهزلنا، ما بيننا وبين القوم إلا كما بين اليقظة والنوم.
لا تعرضـن بـذكرنا في ذكـرهم ليس السـليم إذا مشـى كالمقعد فأماكن تعبدهم باكية، ومواطن خلواتهم لفقـدهم شاكية، زال التعب وبقي الأجـر، ذهب ليـل النصـب وطلـع الفجر، يا ديار الأحباب! أين السكان؟ يا منـازل العـارفين! أين القطان؟ يا أطلال الوجد! أين البنيان؟ إن كنت تنوح يا حمام البان للبين فأين شاهد الأحـزان أجفانـك للـدموع أم أجفاني لا يقبل مدع بلا برهـان ونحن إنمـا ينطبـق علينـا - عباد الله- قـول القائـل: يـا من إذا تشـبه بالصـالحين فهـو عنهم متباعد! وإذا تشبه بالمذنبين فحاله وحالهم واحد! يـا من يسمع ما يلين الجوامـد وطرفـه جامـد! وقلبـه أقسـى من الجلامد! إلى متى تدفع التقوى عن قلبك؟ وهـل ينفـع الطرق في حديد بارد؟! أقول قولي هذا وأستغفر اللـه لي ولكم، وصـلى اللـه وسـلم وبـارك على محمـد وعلى آلـه وصحبه وسلم تسليماً.
(14/4)

مجالس رمضان_معاني إيمانية شريفة
إن دين الله عز وجل فيه معان عظيمـة ومبـادئ إسـلامية راقية، ترقى بالمؤمن إلى أن يكون ذا عـزة وعلـو ورفعـة على الكـافرين، وخضـوع وخشـوع للـه رب العـالمين، وتواضع مع المؤمنين والصالحين.
(15/1)

معان وقيم إسلامية
إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ باللـه من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل

له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحـده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبـده ورسـوله صـلى اللـه عليه، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.
ثم أمـا بعـد: فهـذه جملـة من المعـاني الإيمانيـة الكريمـة الشريفة العظيمة، نلقي عليهـا بعض الضـوء، حـتى تـزداد رسوخاً ووضوحاً في قلوب المؤمنين.
(15/2)

_____

التوكل على الله وتعليق القلب به تعالى
من هذه المعاني الكريمة الشـريفة العظيمـة: أن المـؤمن لا يجوز له أن يعلق قلبه بغير الله عز وجـل، فاللـه تعـالى أمرنا بأن نأخذ بالأسباب، وقال: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَـدُوَّ اللَّهِ وَعَـدُوَّكُمْ} [الأنفـال:60]، وقـال مـع ذلـك: {وَمَـا النَّصْـرُ إِلَّا مِنْ عِنْـدِ اللَّهِ} [آل عمران:126]، فالعبد يأخذ بالأسـباب بجوارحـه، ولكن يعلق قلبه بالله عز وجل، ولا يجوز له أن يعلق قلبـه بغير الله، أو يرجو الخير من عند غير الله عز وجل.
وهذا هو التوكل: أن ينتظر العبد بقلبه الخير من عنـد اللـه عز وجل، لا يرجو ذلك من عند المخلوقين.
وهذا يجعله يسأل الحوائج بعزة النفس؛ فإن الأمور تجـري بالمقادير، والنبي صلى اللـه عليـه وسـلم علّم حـبر الأمـة ابن عباس بأن الأمـة لـو اجتمعت على أن ينفعـوه بشـيء لن ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله له، وإن اجتمعوا على أن يضروه بشيء لن يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه.
(15/3)

_____

الحب في الله والبغض في الله
من هذه المعاني الشريفة الكريمـة العظيمـة: المحبـة في اللــه والبغض في اللــه عــز وجــل، والمــوالاة في اللــه والمعادة في الله.
فمن كمال حب اللـه عـز وجـل أن نحب الرسـل الكـرام، وأن نحب الملائكـة الأطهـار، وأن نحب العلمـاء، وأن نحب الدعاة إلى الله عز وجل، وأن نحب الملتزمين بشرع اللـه

عـز وجـل، فهـذا أمـر لا يتكلفـه المـؤمن، بـل هـو الثمـرة الطبيعية لحب الله عز وجـل، قـال تعـالى: {لا تَجِـدُ قَوْمًـا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِـرِ يُـوَادُّونَ مَنْ حَـادَّ اللَّهَ وَرَسُـولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِـيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُـوبِهِمُ الإِيمَـانَ وَأَيَّدَهُمْ بِـرُوحٍ مِنْـهُ} [المجادلـة: 22]، فلا يمكن أن يحب المـؤمن كـافراً وإن كـان أبـاه أو أخـاه أو ابنـه أو زوجتـه؛ لأن من كمـال حب اللـه أن نحب أوليـاءه، ومن كمـال حب اللـه عـز وجـل كـذلك أن نبغض أعداءه، فالحب في اللـه والبغض في اللـه، والمـوالاة في اللـه والمعـاداة في اللـه من كمـال حب اللـه عـز وجـل، وليس هناك أحد يُحب لذاته إلا الله عز وجـل، حـتى محبـة الرسول صلى الله عليه وسلم هي ثمرة من ثمرات محبة الله عـز وجـل؛ لأن اللـه تعـالى اصـطفاه وطهّـره وجعلـه أكمل الخلـق، وأرسـله سـراجاً منـيراً وهدايـة للبشـر، بـل للإنس والجن، فليس هنـاك أحـد يُحَب لذاتـه إلا اللـه عـز وجل، أما محبة الأنبياء ومحبة الملائكـة والأوليـاء فهي من تمام حب الله عز وجل.

عزة المؤمن ومذلة الكافر

من هذه المعاني الكريمة الشـريفة العظيمـة: أن المـؤمن عزيز وأن الكافر ذليل.

لأنه ليس هناك مصدر للعزة إلا الله عـز وجـل، فاللـه عـز وجل هو العزيز، قـال تعـالى: {مَنْ كَـانَ يُرِيـدُ الْعِـزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِـزَّةُ جَمِيعًـا إِلَيْـهِ يَصْـعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَـلُ الصَّـالِحُ يَرْفَعُهُ} [فاطر:10].

كان الإمام أحمـد يـدعو ويقـول: اللهم أعزنـا بطاعتـك ولا تذلنا بمعصيتك.

فالكافر ذليل وإن كـان رئيسـاً وإن كـان أمـيراً، كمـا قـال الحسن البصري: إنهم وإن طقطقت بهم البغـال وهملجت بهم البراذين، إن ذل المعصية لفي رقابهم، أبى الله إلا أن يذل من عصاه.

بـل كتب اللـه عـز وجـل في اللـوح المحفـوظ بـأن الذلـة والصغار على من خالف أمر رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم (وجُعلت الذلـة والصـغار على من خـالف أمـري)، فكـل من خـالف أمـر النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم من الكفار والمنافقين والعصاة فهو ذليل، كل بحسب ما عنده من المخالفات.
فـالمؤمن عزيـز والكـافر ذليـل، ولمـا جهـل هـذا المعـنى الإيماني عبد اللـه بن أبي ابن سـلول رأس النفـاق، وقـال في غزوة المريسيع (غزوة بني المصطلق): {يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ} [المنافقون: 8] وظن أنه هو الأعز، وأن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم -وحاشاه من ذلك- هو الأذل، لُقّن درساً عملياً تعلم به أن العزة لله ولرسـوله وللمؤمـنين، ولكن المنـافقين لا يعلمون، حيث أن ابنه عبد الله -وكـان مؤمنـاً صـادقاً- لمـا سمع هذه المقالة الفاجرة وقف على باب المدينة شـاهراً سيفه والمسلمون يمرون من تحت سيفه، فلما أراد أبــوه أن يدخل المدينة قال: والله لا تدخل حتى يأذن لك رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم، وحـتى تعلم من الأعـز ومن الأذل.
وقف له ولده وكان من أبر الناس بأبيه، ومنعه من دخــول المدينة حتى يأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعلم بذلك أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون.
(15/5)

_____

محبة الآباء والأبناء والإخوة والزوجات محبة طبيعية
من هـذه المعـاني الكريمـة الشـريفة العظيمـة: أن محبـة الآباء والأبناء والإخوة والزوجات محبة طبيعية فطرية.
فالكافر يحب ابنه، وكـذلك المـؤمن يحب أبـاه ويحب ابنـه ويحب زوجتـه، فهـذه محبـة طبيعيـة فطريـة يقرهـا شـرع الإســلام، ولكن الإســلام يهــذبها، ولا يجــيز لهــذه المحبــة الفطرية أو الطبيعية أن تزداد؛ فتكـون هـذه المحبـة أكـثر من حب المؤمن لله عز وجل أو لرسوله صلى اللـه عليـه

وسلم، أو للجهاد في سبيل اللـه، وإنمـا كـان كـذلك حـتى يتحقق البذل وتتحقق التضحية، وحتى لا يعز المؤمن شيئاً على الله عز وجـل، وحـتى يبـذل المـؤمن كـل شـيء من أجل أن تعلو راية الله عز وجل، قال الله تعالى: {قُـلْ إِنْ كَـانَ آبَـاؤُكُمْ وَأَبْنَـاؤُكُمْ وَإِخْـوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِـيرَتُكُمْ وَأَمْـوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَـا وَتِجَـارَةٌ تَخْشَـوْنَ كَسَـادَهَا وَمَسَـاكِنُ تَرْضَـوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُـولِهِ وَجِهَـادٍ فِي سَـبِيلِهِ فَتَرَبَّصُـوا حَتَّى يَـأْتِيَ اللَّهُ بِـأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْـدِي الْقَـوْمَ الْفَاسِقِينَ} [التوبة:24]، فالله عز وجل تهدد كل من يحب أبـاه أو ابنـه أو أخـاه أو زوجتـه أو مالـه أو تجارتـه أو داره أكثر من حبه لله عـز وجـل، أو لرسـوله صـلى اللـه عليـه وسلم أو للجهاد في سبيل الله، تهـدده بقولـه: {فَتَرَبَّصُـوا حَتَّى يَـأْتِيَ اللَّهُ بِـأَمْرِهِ} [التوبـة:24] وفسّـقهم في نهايـة الآيـة بقولـه: {وَاللَّهُ لا يَهْـدِي الْقَـوْمَ الْفَاسِـقِينَ} [التوبـة: 24]، فهـذه بديهيـة من بـديهيات الإسـلام صـارت اليـوم - لغربة الإسلام- من الغرائب، بل صار المسـلمون يضـحون بدينهم من أجل أن تسلم لهم دنياهم، ويبخلون بالبذل في سـبيل اللـه عـز وجـل، ولم يكن السـلف كـذلك، بـل كـان الواحد منهم يرحب بأن ينـدق عنقـه ولا يُسـلم دينـه، كمـا أسـرت قـريش خـبيب بن عـدي وعـذّبوه عـذاباً شـديداً، وقـالوا: أتـود أن محمـداً مكانـك، وأنـك معـافى في أهلـك ومالك؟ فقال: والله ما أحب أنني معافى في أهل ومـالي ويُشاك محمد صلى الله عليه وسلم بشوكة.

وفي ذلك قيل: أسرت قريشاً مسلماً فمضى بلا وجـل إلى السياف سألوه: هل يرضيك أنـك سـالم ولـك النـبي فـدى من الإتلاف؟ فأجاب: كلا لا سلمت من الردى ويُصاب أنف محمدٍ برعاف ولما أرادوا قتله أنشأ يقـول: ولسـت أبـالي حين أُقتل مسلماً على أي شق كان في الله مصـرعي مـا دام في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أشلاء شـلو ممـزع مات يوم أحـد زوج امـرأة وأبوهـا وأخوهـا، فقـالت: كيـف رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقيل لها: هو على خير مـا تحـبين، قـالت: دعـوني أنظـر إليـه، فلمـا نظـرت إليـه قالت: كل مصيبة دونك جلل يا رسول اللـه! فهي لا تبـالي

إذا مات زوجها وأبوها وأخوها ما دام قد سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانوا يفدون الإسلام ورسول الإسلام بآبائهم وأمهاتهم وأبنائهم.
فهذه الروح هي التي ارتفع بها الإسلام، وعلا بها دين الملك العلّام، ولكن المسلمين اليوم عباد الله يبخلون بالبذل في سبيل الله عز وجل، ولا يبالي الواحد منهم إذا سلم في نفسه وماله وأهله صارت الدولة للإسلام أو لأعداء الملك العلّام، وصار الناس يتحاكمون إلى شرع الرحمن أو إلى الطواغيت اللئام، فينبغي على العبد أن يفدي دين الإسلام بنفسه، فالله عز وجل يقول: {وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ} [البقرة:165]، فينبغي أن يكون حب المؤمن لله عز وجل أكثر من حبه للآباء والأبناء والإخوة والزوجات.
من هذه المعاني الإيمانية الكريمة العظيمة: أن نعتقد أن النصر قادم، وأن جولة الإسلام قادمة، ولا بد كما قال الله عز وجل: {وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} [الروم:47].
كان الصحابة رضي الله عنهم يعذّبون في ربوع مكة، والنبي صلى الله عليه وسلم يبشرهم بالنصر والتمكين، ويقول: (والذي نفسي بيده ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله) وفي رواية: (والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون)، ونزل قول الله عز وجل: {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ} [القمر:45] وتحقق هذا الوعد الصادق في أول لقاء بين الكفر والإيمان في يوم الفرقان، يوم التقى الجمعان، فهزم جمع الكفر وولوا الدبر.
وكان عند الصحابة ثقة بنصر الله عز وجل، حتى كان المنافقون والذين في قلوبهم مرض يتّهمون الصحابة الصادقين بالغرور، قال تعالى: {إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [الأنفال:49] فمن ثقة الصحابة بنصر الله ووعده كانوا يتهمونه بالغرور، وكان خالد بن الوليد يقول للروم وقد تحصّنوا بالحصون: أيها

الـروم انزلـوا إلينـا فوالله لـو كنتم معلّقين في السـحاب لرفعنا الله إليكم أو لأنزلكم إلينا.
فينبغي للمسلمين أن يكونوا
(15/6)

_____

علو الهمة والتنافس في درجات الآخرة
من هذه المعاني الإيمانية الكريمة الشـريفة العظيمـة: أن المؤمن ينبغي أن يكون عالي الهمة فلا يرضى بالدون، ولا يبيع الأعلى بالأدنى بيع الخاسر المغبون.
لا ينافس في حطام الدنيا، بل ينافس في درجات الآخـرة، قـال تعـالى: {وَفِي ذَلِـكَ فَلْيَتَنَـافَسِ الْمُتَنَافِسُـونَ} [المطففين:26]؛ لأن الدنيا كلهـا لا تعـدل عنـد اللـه جنـاح بعوضة، ولو كانت تعدل جناح بعوضة لما سقى كافراً منها شربة ماء، فـالمؤمن ينبغي أن يكـون عـالي الهمـة يطمـع في جنة الله، بل في أعلى درجات الجنة.
وقد كان الصحابة رضـي اللـه عنهم الـذين ربـاهم رسـول الله صلى الله عليـه وسـلم عنـدهم علـو في الهمـة، فقـد سأله أحد الصحابة الكرام، وكان يكنى بـ أبي فراس.
قال له النبي صلى الله عليه وسلم: (سلني، فقال: أسألك مرافقتك في الجنة) فهو طلب أن يكون رفيق النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة، قال: (أو غـير ذلـك؟ قـال: بـل هو ذاك، قال: فأعني على نفسك بكثرة السجود)، ويقـول النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم: (إذا سـألتم اللـه الجنـة فاسألوه الفردوس، فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وسقفه عرش الرحمن) فالعبد عندما يدعو ويطمع في رحمة اللـه لا يرجو أن يكون آخر من يدخل الجنـة، أو يكـون في أدنى درجـات الجنـة، بـل يطمـع أن يكـون في أعلى الـدرجات، وفي الفردوس الذي سقفه عرش الرحمن.
نسأل الله تعالى الفردوس.
أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.
وصـلى اللـه وسـلم وبـارك على نبينـا محمـد، وعلى آلـه وصحبه وسلم تسليماً.
(15/7)

_____
مجالس رمضان_وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون
خلق الله عباده في هذه الدنيا وأمرهم بعبادته وندبهم إلى طاعتـه، ومـا من عامـل في الـدنيا إلا ويرجـو أن يجـد مـا عملـه مـدخراً لـه يـوم القيامـة ليجـازى عليـه بالحسـنات، ودخول الجنـات، ولكن الغبن الواضـح والخسـارة الفادحـة لمن أتى يوم القيامة بأعمال يجعلها الله هبـاء منثـوراً؛ لأن العبد لم يتقيد فيها بأوامر الله ولم يتبع منهج رسوله صلى الله عليه وسلم.
(16/1)

_____
خوف السلف من لقاء الله عز وجل
إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ باللـه من شـرور أنفسـنا، ومن سـيئات أعمالنـا، من يهـده اللـه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صـلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.
أمـا بعـد: لمـا أتت محمـد بن المنكـدر الوفـاة بكى بكـاءً شديداً، فأحضروا لـه أبـا حـازم من أجـل أن يخفـف عنـه، فسأله أبو حازم عن سبب بكائه، فقال: سـمعت اللـه عـز وجل يقول: {وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَـا لَمْ يَكُونُـوا يَحْتَسِـبُونَ} [الزمر:47]، فأخاف أن يبدو لي من الله عـز وجـل مـا لم أكن أحتسب.
فأخذ أبو حازم يبكي معه، فقالوا له: أتينا بـك من أجـل أن تخفف عنه فزدت في بكائه.
(16/2)

_____
أقوال السلف في المعني بقوله تعالى: (وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون)
(16/3)

_____
أن الآية نزلت في أهل الأهواء والرياء

وللسلف في هذه الآية الكريمة: {وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ} [الزمر:47] أقوال: قال بعضهم: نزلت هذه الآية الكريمة في أهل الرياء الذين لم يخلصوا أعمالهم لله عز وجل، وقد قال الله تعالى: {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا} [الفرقان:23]، فكل عمل كان بإرادة غير الله مشوباً مغموراً يجعله الله عز وجل يوم القيامة هباءً منثوراً.
قال الله تعالى في الحديث القدسي: (أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه).
وقال بعض السلف: عملوا أعمالاً فظنوا أنها حسنات، فكانت سيئات، فبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون.
وقال بعضهم: ويل لأهل الرياء من هذه الآية: {وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ} [الزمر:47]، وإنما يشبهون من يعيد الله عز وجل بالرياء كمن دخل السوق وكيسه مملوء بالحصى، فكلما مر بأحد قال: ما أملأ كيسه! حتى إذا وقف عند البائع واختار ما أراد، أخرج ما في الكيس وضرب به وجهه، ولم يحصل به على شيء، ولم ينل إلا قول الناس: ما أملأ كيسه! فينبغي للعبد أن يخلص عمله لله عز وجل، حتى ينتفع بأعماله الصالحة يوم القيامة.
(16/4)

_____

أن الآية نزلت في أهل البدع
وقيل أيضاً: نزلت هذه الآية الكريمة: {وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ} [الزمر:47]، في أهل البدع الذين يظنون أنهم يتقربون إلى الله عز وجل، وهم إنما يبتعدون عن الله عز وجل، فكلما ازداد صاحب بدعة اجتهاداً ازداد من الله عز وجل بعداً، قال تعالى: {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا} [الكهف:103 - 104].

وصف النبي صلى الله عليه وسلم الخوارج فقال: (يحقر أحدكم صلاته إلى صلاتهم، وصيامه إلى صيامهم، وقراءته إلى قراءتهم -ثم قال:- يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية).
إذا لم يكن من الله عون للفتى فأول ما يجني عليه اجتهاده وقالوا: ليس لصاحب بدعة توبة؛ لأن البدعة تزين لأصحابها، ويظنون أنهم على هدى، ويظنون أنهم يتقربون إلى الله عز وجل، وهم إنما يبتعدون عن الله عز وجل.
قيل لبعض العلماء: ما بال أهل الأهواء لهم محبة شديدة لأهوائهم؟ قال: ألم تسمع قول الله عز وجل: {وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ} [البقرة:93]، فقيل: نزلت هذه الآية الكريمة: {وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ} [الزمر:47] في أهل البدع.

أن الآية نزلت فيمن غره طول الأمل والأماني الباطلة
قيل أيضاً: نزلت هذه الآية الكريمة: {وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ} [الزمر:47] في أهل الغرور والأماني الباطلة، الذين خدعهم طول الأمل، وران على قلوبهم سوء العمل، فهم يقصرون في طاعة الله عز وجل، وينتهكون حرمات الله عز وجل، ويقولون: إن الله غفور رحيم.
قال الحسن البصري: إن قوماً ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم، وقالوا: نحن نحسن الظن بالله، وكذبوا.
لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل.
وقد تطرق فكر المرجئة الخاطئ إلى كثير من المسلمين، وظنوا أنه لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله، وأن العبد ما دام مسلماً فإنه لا تضره هذه الذنوب، والله عز وجل يرد على هذا الفكر الخاطئ فيقول عز وجل: {لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا} [النساء:123].

وقال عز وجل: {أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ} [الصافات:153 - 154].
وقال: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} [الجاثية:21].
وقال عز وجل: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه} [الزلزلة:7 -ـ 8]، فالمعاصي تضر أصحابها في الدنيا والآخرة.
فقيل نزلت هذه الآية الكريمة: {وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ} [الزمر:47]، في أهل الغرور والأماني الباطلة.
(16/6)

_____

أن الآية نزلت فيمن أثقلوا ظهورهم بمظالم العباد
وقيل أيضاً: نزلت هذه الآية الكريمة: {وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ} [الزمر:47] في أناس أتوا بحسنات كثيرة عظيمة، ولكنهم أثقلوا ظهورهم بمظالم العباد، فهم يحسنون الظن بحسناتهم، ولكنهم غفلوا عما وقعوا فيه من مظالم العباد، روى الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع.
قال: ولكن المفلس من أمتي من يأتي بحسنات كأمثال الجبال، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وسفك دم هذا، وأخذ مال هذا، فيأخذ هذا من حسناته، وهذا من حسناته، حتى إذا فنيت حسناته طرحوا عليه من سيئاتهم، ثم طرح في النار)، فيبدو له من الله عز وجل ما لم يكن يحتسب، فهو يحسن الظن بحسناته، ولكنه غافل عن مظالم العباد التي قال النبي صلى الله عليه وسلم فيها: (من كان لأخيه عنده مظلمة من مال أو عرض فليتحلله اليوم من قبل ألا يكون دينار ولا درهم إلا الحسنات والسيئات).
فقيل: نزلت هذه الآية الكريمة: {وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ} [الزمر:47] في أناس أتوا بحسنات كثيرة عظيمة، ولكنهم أثقلوا ظهورهم بمظالم العباد.

أن الآية نزلت فيمن ظنوا كبائرهم صغائر
وقيل أيضاً: نزلت هذه الآية الكريمة: {وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ} [الزمر:47] في أناس أتوا بذنوب، وظنوا أن هذه الذنوب من الصغائر، وكانت هذه الذنوب من الكبائر، فبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون.
عن أنس رضي الله عنه قال: إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعرة كإن كنا لنعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات.
فمقياس التحقير والتعظيم مقياس نسبي، فبحسب إيمان العبد وتقواه يعظم الأمور أو يحقرها.
وقول أنس هذا يدل على كمال يقين الصحابة وتقواهم رضي الله عنهم، كما قال ابن مسعود -ورواه البخاري معلقاً بصيغة الجزم- قال: (إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه في أصل جبل يوشك أن يقع عليه، وإن الكافر أو الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه فقال به هكذا فطار) فالمؤمن لأنه يعظم حرمات الله، ويعظم شعائر الله عز وجل يرى ذنوبه كأنه في أصل جبل يوشك أن يقع عليه، لم يقل: مبنى أو شجرة؛ لأن هناك احتمالاً لنجاة من سقط عليه مبنى أو شجرة أو شيء أقل من الجبل، ولكن من سقط عليه جبل فليس هناك أدنى احتمال للنجاة.
فالمؤمن يرى ذنوبه كأنه في أصل جبل يوشك أن يقع عليه، والفاجر أو الكافر أو المنافق يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه فقال به هكذا فطار.
فقيل: هذه الآية الكريمة: {وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ} [الزمر:47] نزلت في أناس أتوا بذنوب، وظنوا أن هذه الذنوب من الصغائر، فكانت هذه الذنوب من الكبائر، فبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون.

أن الآية نزلت فيمن يناقش الحساب يوم القيامة

وقيل أيضاً: نزلت هذه الآية الكريمة: {وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ} [الزمر:47] في أناس شاء الله عز وجل أن يناقشوا الحساب.
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من نوقش الحساب عذب).
وفي رواية: (من نوقش الحساب هلك فقالت عائشة رضي الله عنها: ألم يقل الله عز وجل: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا} [الانشقاق: 7 - 8]؟ قال: إنما ذلك العرض)؛ أي: أن الحساب اليسير هو أن يعرض العبد على ربه عز وجل، ولكن لو نوقش العبد في أعماله وفي أقواله وفي أحواله فلا بد أن يهلك فلو حاسبنا الله عز وجل على نعمه علينا لم تف جميع أعمالنا الصالحة بأدنى شكر لنعم الله عز وجل علينا، فحق الله عز وجل أعظم من أن يقوم به العباد، ونعمه أكثر من أن يحصيها العباد، ولكن أصبحوا تائبين، وأمسوا تائبين.
فمن نوقش الحساب عذب؛ لأن الله عز وجل إذا أراد نجاة عبد فإنه لا يسأله عن شكر نعمه عليه، ويتجاوز عن سيئاته ويدخله بحسناته الجنة وإن كانت قليلة، وإذا شاء الله عز وجل أن يهلك العبد ناقشه الله عز وجل وطالبه بشكر نعمه، فلا تفي جميع أعماله الصالحة في أدنى شكر لنعم الله عز وجل عليه، فتبقى بقية النعم بلا وفاء بالإضافة إلى الذنوب وإلى المغارم، فيهلك العبد بسبب ذلك، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لو أن الله عز وجل عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خير لهم من أعمالهم).
فقيل في تفسير هذا الحديث الذي رواه أبو داود بسند حسن: لو أن الله عز وجل عذب أهل سماواته وأهل أرضه لكان متصرفاً بذلك في ملكه والمتصرف في ملكه غير ظالم.
وقيل: لو عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم ببعض حقه عليهم؛ ولأنهم لم يقوموا بشكر نعم الله عز وجل

عليهم، فلو أن الله عـز وجـل عـذب أهـل سـماواته وأهـل أرضـه لعـذبهم وهـو غـير ظـالم لهم، ولـو رحمهم لكـانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم.
فقيل: نزلت هذه الآية الكريمة: {وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَـا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ} [الزمـر:47]، في أنـاس شـاء اللـه عـز وجل أن يناقشوا الحساب، ومن نوقش الحساب عـذب أو هلك.

_____

أن الآيــة نــزلت فيمن وقــع في ذنــوب منعت انتفاعــه بحسناته
وقيل أيضاً: نزلت هذه الآيـة الكريمـة: {وَبَـدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَـا لَمْ يَكُونُـوا يَحْتَسِـبُونَ} [الزمـر:47] في أنـاس أتـوا بحسنات كثيرة، ولكنهم وقعوا في ذنـوب منعت انتفـاعهم بهذه الحسنات، وقعوا في موالاة أعداء اللـه عـز وجـل أو في الصـد عن سـبيل اللـه عـز وجـل، فلم ينتفعـوا بهـذه الحسنات؛ لأن هذه السيئات التي وقعوا فيها أخرجتهم من ملة الإسـلام، فلم ينتفعـوا بأعمـالهم الصـالحة، كمن يصـد عن سبيل الله أو يوالي أعداء الله عز وجـل أو يسـب دين اللـه عـز وجـل، أو يسـتهزئ بشـرع اللـه عـز وجـل، فهـو يحسن الظن بأعماله الصالحة؛ وهـو غافـل عن المعاصـي التي وقع فيها؛ فأخرجته من ملة الإسلام.
ومن ذلـك: أن يكـون هنـاك ذنـوب تمنـع انتفاعـه مؤقتـاً بحسناته، كالمرأة المتبرجـة مهمـا أدت من حسـنات ومن طاعات فإن هذه المعصية تجعلها لا تنتفع بهـذه الحسـنات كثيراً؛ لأن المعصية التي تقع فيها معصية كبيرة تحيط بهـا، وتذهب كثيراً من حسـناتها وإن كـانت لا تخرجهـا من ملـة الإسلام.
وقس على ذلك من الذنوب العظيمـة الـتي قـد يقـع فيهـا العبــد أو يبتلى بهــا، فتكــون الحســنات محبطــة بهــذه السيئات، وإن كـان إحباطـاً ليس كإحبـاط الكفـر للإيمـان، ولكنه إحباط مؤقت لا ينتفع العبـد يـوم القيامـة بحسـناته، حتى يؤاخذ بسيئاته.

فقيل: نزلت هذه الآية الكريمة: {وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَـا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ} [الزمـر:47] في أنـاس أتـوا بحسـنات، ولكنهم وقعوا في ذنوب منعت انتفـاعهم بهـذه الحسـنات، فبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون.
نسأل الله تعالى أن ينفعنا بالقرآن العظيم.
أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.
وصلى الله وسـلم وبـارك على محمـد وعلى آلـه وصـحبه وسلم تسليماً.
(16/10)